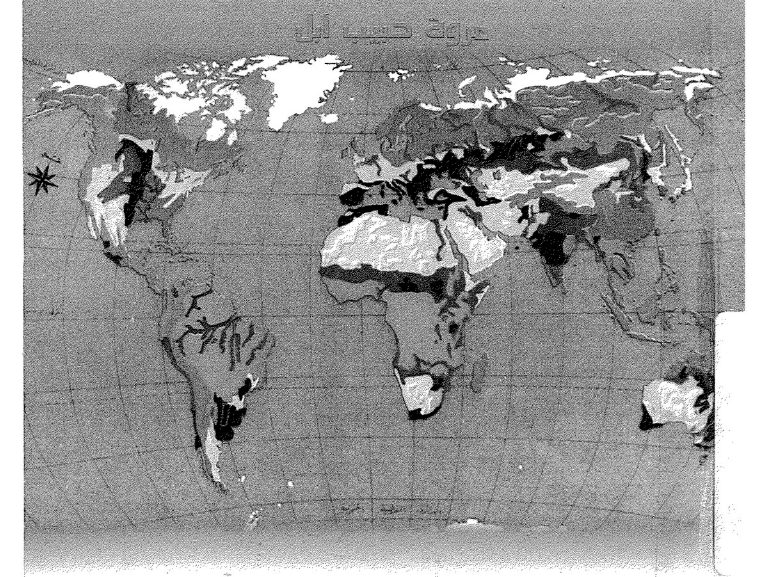
التسييس العملي للسياسة الدولية

الدكتور هاشم بهبهاني

مراجعة

مروة حبيب أبل



التسييس العملي للسياسة الدولية

الدكتور هاشم بهبهاني

مراجعة

مروة حبيب أبل



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى المرأة الكويتية

توطئة

الوضع الدولي بنهاية القرن العشرين يستدعي من المراقب أن يراجع هذه الفتافيت من بعض النظريات التي حكمت تطور أو عدم تطور الدول المترامية على الكرة الأرضية السياسية . وفي هذا المحفل السياسي الـــدولي طرأت على العالم السياسي عدة نظريات سياســـية حاولت حل البعـــض من المعضلات المصيرية- الإنسانيـــة ، ولكـــن جميعهـــا باءت بـــالفشل، ودفعت الشعوب أثمان هذا الفشل .

المدون هنا إنما هو محاولة نظرية سياسية متواضعـــــة في الإبحـــار لاحقا بأهمية هذه النظريات السياسية الدولية ، وكما حال الإنســـــــان على الكرة الأرضية غير المستقرة وكذلك يذكر عن أوضاعه السياســـية دوليا . لنصف قرن مضى و العالم السياسي مليء بـــأحداث سياسيـــــة توحي للبعض أن نهاية الإنسان على الكرة الأرضية قد وصل إلى نهايتـــه، ولكن في خضم كل هذه الأمور السياسية الدولية ظل الإنســـان كمـــا استقام في حياته لاهثا وراء حقيقته السياسية الدولية .

على أن هذه النظريـــات السياسية الدولية التي ســـــادت لقـــرون مضت انهارت بلا سابق إنذار، الانهيار السياسي الــــدولي هـــذا شـــكل مدرسة بحد ذاتها . تعقيد الأمور النظرية الدولية نبع بالأســـــاس مـــن أن الإنسان على الكرة الأرضية هو المسؤول الأخير عن هذه الأمور السياسية المتشابكة على بعضها البعض ، و عليه فالإرهاق الذهني الإنساني الـــــذي انعكس حبر على ورق أدرج في تاريخ الإنسان النسياني ، لذا فالمدون هنا لا يتعدى بكونه وضع بعضا من هذه الأفكار النظرية السياسية الدوليـــــة تحت المجهر الثقافي .

القاموس السياسي الدولي مزخــــم بمصطلحـــات متعــددة وذات اختلافات ، بعضها متجانس و البعض الآخر متنـــــاقض . إلا أن هـــذه المصطلحات للسياسية الدولية عرضة للتغيير بنـــاء على التغيرات الدوليـــة في أي فترة تاريخية إنسانية ، ومن هنا يبدو أن نهايـــة القـــرن العشـــرين شهدت تطورا إنسانيا بشريا ملموسا ، وفي الآن ذاتـــه فالكرة الأرضيـــة البيضاوية قد تقزم حجمها الجغرافي ، ومع التطور التاريخي للإنسان طـــرأ نشوب مصطلحات سياسية دولية مستحدثة الـــتي منـــها "التســـييس و الدولنة" . وهـــذان المصطلحان ليسا بأطراف من نظريـــــات سياســـية متناقضة أو غيرها، فلهما ذو استقلال نظري مميز هنا .

الإنتاج الفكري عمل مضن . هذا الإرهاق المضني لا يســـــاهم في التغلب عليه إلا المـــرأة ، وفي هذا المسلك الذهني من العنـــاء الإنســـاني الذهني لا بد من ذكر "نرجس منصور قبازرد" فلها مقامها الذي لا ينكر في محافل الصمود الكويتي خلال الاحتلال الصدامي للكويت المغتصبـــة ،

فجرأتها فاقت جرأة الرجال ، حيث كانت هــــي خــــير معــــين خـــلال الاحتلال. وبعد التحرير آراؤها الفكرية كانت تصيب بيت القصيــــــد .
إليها أسدي كل الشكر الشخصي .

الفصل الأول

التسييس العملي للسياسة الدولية

التسييس والاستعمار

مع انطلاقة القرن العشرين طفح على الساحة نمط أطلق عليه دولنة المصير الإنساني ، ولكنه لم يجتز مرحلة التفكير به ، و ظل في هذا الإطار العقلي المحدود ، من حين إلى حين سعادة تغمر المواطن العادي في اكتشاف مناطق جديدة ، لم تطرأ على مسامع الآخرين من ذي قبل،و هذه الاكتشافات جلبت معها ثروات لا تحصى ، هذه الثروات الطبيعية هي التي خلقت الاستعمار . فالعالم قسم على حسب وجود هذه الثروات على الكرة الأرضية . ومع هذه الوتيرة الاستعمارية نجمت سلسلة عرفت سياسيا بالاستغلال الإنساني المجحف ، وفي معظم أركان العالم عومل الإنسان كالدابة ، ومن هذا الإطار الاستعماري المحدد تفاقمت الفجوات الطبقية الاقتصادية حول العالم ، وان كان الأمر الاقتصادي السياسي هذا يخص الخلية الإنسانية بحد ذاتها فان هذه الفكرة الجديدة خلقت معها تقسيم خارطة العالم السياسية بين الدول الاستعمارية و المستعمرة .

كلا الطرفين كانت له مسببات تتراوح بين أعذار وحقيقة الوجود الإنساني ، من أحد القواسم المشتركة للأعذار هو الذي يرتبط استعماريا مع القتل الإنساني بأنماط إزهاق الروح الإنسانية حيث تختلف حسبما يقودها المستعمر . إلا أن هذا الأمر الإنساني من قبل الاستعمار

هو أمر ثانوي ، الاستعمار خلال تاريخه مليء بوتيرة تشوبها حلقات اقتصادية متراكمة فوق بعضها بعضاً على مر الأزمنة . هناك حلقات تاريخية للاستعمار عندما تضحي الأمور التطورية مقننة بدراسات متواكبة .هناك جزء لا يتجزأ من الوتيرة التاريخية للاستعمار الذي ينحصر بمفردة يطلق عليها الاستغلال . مفردة اقتصادية كهذه تختلف معانيها وأدوارها من شخص أو مؤسسة تجارية إلى دولة ، لذا فتشخيص الاستعمار أمر ليس واردا في هذه العلاقة الجدلية السياسية بين الدول الاستعمارية وتشخيصها تناقض ببوتقة واحدة ، فالأمر برمته ينصب بمفردة الاستغلال ، فهناك من يحمل الاستعمار من المستعمرين أنفسهم وهناك من يأخذ وتيرة الاستغلال كحق تاريخي .

ولكن بين هذا وذاك هناك من يقع تحت وطأة الاستعمار ، وهذا هو الأهم هنا . إن ذكر أن الاستعمار يضع في الاعتبار رفاهية الشعب فهذه خدعة تاريخية ، فالمستفيد من هذا كله من يطلق عليهم النخبة في المجتمع المستعمر ، وهذه النخبة لها مزايا اقتصادية ، وغالبا ترتبط هذه المزايا الاقتصادية للنخبة مع الاستعمار .

مع كل هذا فهناك القاعدة الشعبية التي هي خميرة التاريخ الإنساني، لذا فكل الذي تهتم به هذه الخميرة التاريخية - الجماهيرية هو الخروج من السجن المتعمد الذي صنعت أغلاله من قيود اقتصادية سواء داخلية أو خارجية . ليست هناك معادلة قد توضع لتكون مدلولا لتطوير تاريخ هذه الخلية السياسية . الخميرة التاريخية - الجماهيرية تؤدي دورها على أكمل

وجه ، لان التاريخ فرض عليها هذا . وفي الآن ذاته المطالب التاريخية لهذه الخميرة الجماهيرية لا حدود لها .

ولكن مواجهة الاستعمار تتأتى بمراحل تاريخية محددة وهنا فالصبر المسيس ضد الاستعمار يلقى إقبالاً من التاريخ الإنساني ذاته ، وهذا الاحتضان التاريخي لخميرته الشعبية لا يتعدى كونه تسييساً عملياً للخميرة التاريخية الشعبية، وهذا التسييس العملي للسياسة لن يأتي بعفوية عابرة . العبور التاريخي هذا له شروط ، هذه الشروط تتمحور كلها حول التهافت الشعبي ذاته . المواجهة التسييسية للقاعدة الشعبية في سبيل ترسيخ قاعدته على أعمدة مؤسسية لها أسعارها البشرية ، ومن هنا فسبيل التسييس العملي هناك التدوين الجماهيري بتقبل الفناء في سبيل هدف إنساني معين ومحدد ، إلا أن هذا التحديد والتعيين لا يأتي دون إراقة دماء الشعب . وهذه هي اللغة الوحيدة التي يستوعبها تسييس التاريخ . هذا الاستيعاب التاريخي له كذلك شروطه ومن أهمها عدم الابتعاد تعمدا عن مسيرة التسييس التاريخي .

التسييس وإنشاء بذرة الدولة

مهما كان الأمر فالتسييس العملي للسياسة سواء الداخلية أو الخارجية منها دون القيادة لا معنى لها ، فالقيادة السياسية تطنب في الحديث في المحافل المتعددة عن أحلام القاعدة الشعبية ، الأحلام السياسية للقاعدة الشعبية بحاجة ماسة إلى من يتولى الأمور الحياتية . هذه الأمور السياسية هي التي تباشر في بلورة وتركيبة الخميرة السياسية

التاريخية ، بمعنى أن هذه القيادة السياسية لديها القدرة في انفصام القاعدة السياسية عن أحلامها ، والعكس صحيح .

تاريخيا أسهب المفكرون في الحديث عن كيفية بناء الأسس الراسخة للخلية السياسية المعنية . منذ بدء الخليقة والإنسان يتحدث عن الديمقراطية ، ومع تطور التاريخ السياسي اغتصب الإنسان مفردة الديمقراطية كسلعة بسيطة . الشيوعيون يتندرون بديمقراطيتهم وكذا فعل الرأسماليون ومن معهم ، ولم يبق أي إنسان على وجه البسيطة لم يتحدث عن الديمقراطية ، ولكن لم يطرأ أي شيء جديد يذكر في هذا المجال الديمقراطي . التكرار التاريخي لمفردة الديمقراطية فقدت محتواها ، إذا كانت مفردة الديمقراطية لا ملكية لها فإن فكر الإنسان هو الذي رسخ هذه المفردة الإنسانية .

وفي هذا الإطار الفكري للإنسان لعل المفكر اليوناني "أفلاطون" هو الذي رسخ أعمدة بناء الدولة . لقد خلق فلسفة سياسة الدولة ولكن لم يتبع أحد حذافيرها ، فنظريته في بناء الدولة كانت مبسطة ، ولكن خروجها للواقع كان عسيراً على مر التاريخ الإنساني ، هذا الأمر التاريخي في خلق الدولة أدى بالكثير من المفكرين إلى القول بأن نظرية "أفلاطون" كانت مثالية وبالتالي كان تطبيقها لم يكن منطقيا ولا عمليا طوال حياة أفلاطون . لكنه لم يهتم لكل هذه الأمور السياسية التي لم تتعد غشاوة الفكر . إن على المرء هنا أن يضع في الاعتبار أن فكر أفلاطون لم يكن عرضة للقراءة المستفيضة ولكنه تبادل أفكاره السياسية - الفلسفية مع زميله سقراط . مع أن الغالبية العظمى من الذين يسمون

المفكرون الآخرون بسطوا أفكار أفلاطون ولكن فكره خلق هرما [1] فلسفيا – سياسيا لصق بالإنسان على مر العصور. هذا الهرم الفكري لأفلاطـون شمل الأمور الإنسانية كلها وكان قابلا للتغيير مساعدا دور القيـادة السياسية هنا. من كل هذه الأطر السياسية المدونة في هرم " أفلاطـون" لعل تراضي القيادة السياسية مع النمط الديمقراطي هو الذي يعزز مسـار الدولة مع تاريخ الدولة الإنساني .

من الضروري هنا الوضع في الاعتبار أن أفلاطون اتخـذ الوسـيلة العلائقية في هرمه بترابط أطلق عليه فيما بعد بالجدلية ، وهـي لم تكـن جدلية "كارل ماركس" ولكنها كانت جدلية تاريخية فرضتها ظـروف التاريخ الإنساني ، وعليه فجدلية أفلاطون كانت جدلية الفكر ، وهذا هو جوهر الموضوع هنا . أما المفكرون الآخرون فكل منـهم أدلى بدلـوه ولكن الأمر هذا بالتحديد يختص بالعقل الإنساني خلافا لكـل الموجـود ضمن الهرم الأفلاطوني هذا .

المجادلات الفكرية بين أفلاطون و أرسطو نبعت بالأسـاس مـن التراث السياسي اليوناني . هذا التراث انتقل فكريا إلى أوروبـا الغربيـة وبالأخص إيطاليا . الفكرة السياسية التي حامت حولها فلسفة أفلاطـون باتت تخص الدولة ومورست عمليا في بادئ الأمر مـن قبل "ميكافيللي" حيث كانت مسيرته العملية السياسية قصيرة ومحدودة . هـذا المؤلـف السياسي من إيطاليا اتخذ انطلاقة فكره من إعجابه السياسي بأمير إيطاليا. المسألة هنا انحصرت من قبل هذا الاسم بكيف تستمر الدولة المعنيـة في

[1] انظر للملحق شكل (1)

الزوابع السياسية التي تحكمت في مصـــير أوروبـا الغربيــة ، بالنســبة لميكافيللي فإيطاليا كانت العالم بأسره ، هذه النظرة السياسية عن عـــالم إيطاليا دونها ميكافيللي بكتاب مضمونه "الأمـير" . هذا الكتاب ظــل على مر القرون للجميع من القيادة السياسية إلى القاعدة الشعبية . المرحلة التاريخية آنذاك انحصرت بتساؤل واحد ألا وهو كيف أن بإمكان الـدول على صغرها أن تتعايش مع الدول الأخـرى المتصارعـة علـى البقـاء والاستمرارية .

التسييس و العولمة : حضارة الرق و المساجين

كثر الحديث عمن هو مـن البشر الذي تنحـدر منـه أصـول الإنسانية! الإنسان عاد يرجع إلى تدوين جذوره باحثا عن موقعه علـى الكرة الأرضية هذه ، ولكن توجد هنا منافسة عرقية حول العالم . هـذه المنافسة العرقية ختمها الجميع بالمناداة بأهم المرجعية الأساسية للإنسـان ولكن تصادم الإنسان مع الواقع بحقيقة تاريخية لها مرارة خاصـة ، مـن العجز التاريخي ارتمى الإنسان في حضن الإعجاز. الواقع الإنساني هـذا أدى بالبعض إلى الرجوع إلى طبيعة حياتهم المعيشية لتكون انعكاسا طبيعياً لتقدم الإنسان بالوجود .

1- تجده يعانق ذاته مناجيا ، المناجاة الذاتية يمضيـها بـين الأشـجار الخضراء المطلة بظلالها على الينبوع الزاحف على النـهر . طيـورا جميلة تستقي شراب الماء العذب . غزال ضـان يلتـهم بحنـان أعشاب الأرض التائهة بحنان . هو يعتقد أن الإنسـان خلـق في

انطلاقته على الكرة الأرضية مـــن هنا . سكون شـــامل يحتضنـــه كاحتضان عشقه للكون فهو أصل الإنسان .

يقطع هذا السكون أنين طائر يسمى بالطائرة ، فهي ليست طائرة عاديـــة لأنها تخلق ببطنها أمواتا ، بمختلف الأشكال . لقد طرأ على مسامعه مـــن ذي قبل أن هذه هي حضارة الرجل الأبيض! هو لا يعي لماذا هذا الخوف من الموت المتعدد . ولكن هناك أسئلة مصيرية للإنسان ولكن تظل بـــــلا إجابة تذكر . إنه مملوء بالحيرة متسائلا لماذا القتل المتعمد هذا والمرء مقبل على الزوال مهما كان الأمر ؟ ! أسئلة لا إجابة لها ولكن واقـــع الحـــال يفرض عليه بان يثور وينتهي الأمر بالنسبـــة له !

2- يلم باهتمامه إلى مراعيه المميزة في جبال " الأنديس" عشيرته كبيرة تمتد من بوليفيا إلى الأرجنتين هو كذلك أكثر يعتقد بأنـــه أصـــل الإنسان . رعي الأغنام والماعز هو الذي عرفه طوال حياته علـــى الجبال . يرعى الإبل ويطلق عنان تفكيره إلى الفضاء هذه هي حياته منذ الصبا . تجاعيد وجهه توحي للإنسان بسفوح المار بأن هـــذا الرجل المسن أدرك معاني الحياة الإنسانية ، ولكن هناك أمرا لم يطرأ على باله من ذي قبل . فمن حين لآخـــر يخـــرج أنـــاس غربـــاء ومسلحون ويمطرونه بوابل من الرصاص لتخويفه وإبعـــاده مـــن مرعاه. لم يفعل أي شيء يذكر مخالفا للقوانين الـــتي يعرفهـــا ، ولكن في إحدى المرات انهمر عليه بالرصاص و القنابل اليدويـــة ، مات وتمخطرت الإبل في البراري... قيل أنه لقي حتفه لأنه تخطـــى حدود دولة أخرى .

3- يقال عنها أنها أم الحضارات الإنسانية . لقبها يوحي بهـــذا ، في بادئ الأمر أطلق عليها " إمبراطورية الكون " وجريا مع التـــاريخ الإنساني العابر أطلق عليها بمرتكز العالم " جونـــغ غـــو " هـــم فخورون بتراثهم التاريخي ولهم الحق في كل هذا . تاريخهم الطويل يوحي للمتمعن بتاريخها أن هذا الشعب العريق بتراثه لابـــد وأن يكون عريقا بعشقه لأرضه ، ولكن هذا العشق التـــاريخي بـــتره الاستعمار وترك وراءه لافتة بأسواق مدينة شنغهاي" ممنوع دخول الكلاب و الصينيين إلى المدينة " ولكن هناك اعتقادا راسخا مـــن الشعب الصيني برمته بأنهم أعرق حضارة إنسانية علـــى الوجـــود وبالتالي هم أصل الإنسان في الكون !

طور سياسي نشأ بالعالم غير معالمه ، هذا الطور السياسي لم يفقـــه على الإطلاق ما شمل العالم الرأسمالي ، الطفرة العالمية هذه لغير الرأسماليـــة حامت حول مفهومين سياسيين أطلق عليهما بالوطنية والقومية ، هـــذان البعدان رسخا على الخريطة السياسية العالمية . المعضلة السياســـية هنـــا للرأسمالية العالمية التي لم تحسم المعاني العملية للوطن الذي يتمثل بانتمـــاء محدد للأرض ، بينما الثاني وهو يوحي للعـــابر بأنـــه عرقـــي . وكـــلا الموضوعين إنساني ، ومن هذا المنطلق الإنساني خلطت الرأسمالية العالميـــة بين عدم تحديد مصير الإنسان الوطني والمتتبـــع للشـــيوعية كمخـــرج لمعضلات الدولة السياسية التي يتعايشون فيـــها ، فالمســـيس الشـــيوعي الروسي هو ذاك الإنسان الذي يدافع عن وطنيته وقوميته ، وكذا يذكـــر

في كل الدول المسيسة التي ارتأت الشيوعية منهجا إنسانيا تتبعه الدولة المسيسة .

الاستعمار خلق أدبيات سياسية محددة عن نتائج بدائية ونهائية ، فهذه الحقبة التسييسية أخرجت شعارات ارتطمت بثنائية المصير الشعبي مع القيادة السياسية المسيطرة . الشعارات المسيسة عبارة عن عواطف إنسانية وكونها كذلك فهي تخلق بدورها اتباع منهج سياسي محدود ذي إطار يخرج بعيدا عن الدولة المعنية لينصب في الغياهب السياسية .

بين غياهب وغيبوبة السياسة فالشعارات العاطفية السياسية لها انعكاسات تخرج لترتمي في أحضان الاستعمار ، وعليه فالاستبداد السياسي أمر وارد . الاستبداد السياسي ثمنه دم الشعب ، وقد تكون مقابل هذه الدماء تغيير السياسة الدولية المسيسة . الخارطة السياسية الدولية المتغيرة هذه توحي للمراقب بأن هناك بوادر لتحويل الخطوط الحمراء للدولة المعنية .

ولكن أضحت هناك بوادر لتقسيم الكرة الأرضية سياسيا من قبل المستعمرين . فهناك هذا المستعمر الذي اتخذ منهجا سياسيا معينا يكفل له استغلالا اقتصاديا للمستعمرات التي تحت سلطته بالتحديد . العامل السياسي اتخذ كعامل مساند لاستمرارية الاستعمار ، إلا أن هذا العامل السياسي كان عرضة لعدة تقلبات تطور من خلالها ذاك الذي أطلق عليه بالقاعدة الشعبية .

القاعدة الشعبية هذه كانت عشوائية التحرك سياسيا ، الأمر السياسي هذا تطلب إنشاء أحزاب سياسية همها الأساسي كان الاستغلال الوطني.

ولكن الرأسمالية العالمية أخطأت كرة أخرى بسياستها تجاه شعوب المستعمرات هذه ، فالرأسمالية العالمية بنيت خليتها السياسية بـادئ ذي بدء على أهداف وطنية بحتة تخصها هي بالذات .

وخطأ آخر اقترفته الرأسمالية العالمية والذي تحول إلى ما أطلق عليه آنذاك بالتقدم الحضاري للرأسمالية إلا أن هذا التقدم الحضاري كان شبه مادي ، وهو كذلك لأن هذه المسألة هي قضية نسبية بحتة ، فإذا كانت القضية تحوم حول نتائج الطفرة المالية المتمثلة بالغنى فهذه المستعمرات كانت تحتضن قنوات مادية تتعدى القدرات المادية للجموع الشعبية في الدول الاستعمارية ، ناهيك عن ذكر القيادة السياسية ماديا من كلا الطرفين .

جم المسألة هنا يحوم حول القضية الحضارية بين الاستعمار والمستعمرين . ومن الأمور الحضارية المتعددة ما يطلق عليه بالثقافة وطور بناء الإنسان من خلال تاريخه . التاريخ الإنساني هنا يؤدي دوره ، فهذا التاريخ صقل الإنسان الذي وقع تحت وطأة الاستعمار . ثقافة وحضارة هذا الإنسان المستعمر هي التي خلقت له التعالي الحضاري ، وهو ليس بالضرورة تعاليا إنسانيا من بعيد أو قريب .

ومن كل الذي يذكر عن الاستعمار تظل قضية المسألة الدونية من قبل الاستعمار للمستعمرين من أهم القضايا التاريخية هنا . هذه القضية التاريخية بالذات هي التي دفعت بالمستعمرين أن يتبعوا فلسفة دونية إنسانية ضد الذين استعمروهم ، وعليه فالرحيل القسري لسجناء في

أوروبا بشقيها وشعوب أفريقيا السوداء الذين أطلق عليهم جزافا العبيد من قبل الاستعمار هم الذين بنوا حضارة إنسانية جديدة .

هذه القضية الدونية من قبل الاستعمار للعالم ألغت حضارة إنسانية وأخذت الأمور الإنسانية اعتباطا وذلك بإطلاق مصطلحات جديدة في القاموس الإنساني العرقي . ولكن الرأسمالية الدولية واجهت معارضة عملية من قبل شعوب الدول المستعمرة . هذه العملية السياسية العرقية المناهضة للاستعمار نتج عنها التنازل من قبل الاستعمار وذلك بالرضوخ للمطالب الوطنية لشعوب هذه التجمعات الإنسانية حول العالم . الاستقلال الوطني كان هو الهدف الأساسي هنا .

إلا أن الرأسمالية الدولية فضلت التراجع العسكري من قبل هذه المناطق . التراجع الرأسمالي – العسكري من هذه المناطق الإنسانية المتعددة المناطق الإنسانية كانت وطأتها كبيرة وذات مدلول غير حضاري، ومن أهمها مصطلح " العالم المتخلف" وترك هذا العالم المسمى بالمتخلف يرزح تحت تأثير الرأسمالية العالمية من المراحل الاقتصادية و السياسية والاجتماعية كافة .

الطور التاريخي المستحدث للعالم

العالم السياسي بدا واضحا بعد الحرب العالمية الأولى . بعد هذه العالمية أول طفرة على الخارطة تجمعات إنسانية ليس لها مدلول بذاك الذي أطلق عليها بالقانون الدولي ، ولكن هذا القانون مع أنه كان مربط الفرس بالنسبة للذي يود أن يستعمل أولا القوة السلاحية في حل

المعضلات الاجتماعية المختلفة ، إلا أنه كان يستعمل طالما فرضته الظروف الإنسانية . وإذا كان الأمر الإنساني كذلك فالقوة أصبحت ممزوجة بالسلاح ، فالعالم أضحت خطوطه الحمراء أكثر من واضحة .

أوروبا الغربية كانت مهد الاستعمار ، والاقتصاد العالمي كان رهن إشارتها وكذا يذكر عن السياسة بالعالم . ولكن الاستعمار الأوروبي ترك وراءه مخلفاته الحضارية . هذه اللمحة الحضارية تركت شعوب الدول المستعمرة في وضع أدى إلى التنافر الواقعي في قارات أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا كافة . هذا التنافر الواقعي بدا واضحا في استخدام السلاح الشعبي ضد الاستعمار ، وحتى المراحل الزمنية من التاريخ الإنساني شمل الوضع الدولي حتى عام 1985 [2].

ابتدأ التسييس لشعوب العالم منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصفه ليترك العالم على حافة سطح جبل مجهول النهاية ، ولكن هذا اللامعروف مسيس بأحسن وضع من نظيره المعاكس وهو كذلك لعدة أسباب :

أولا ، ثورتان هزتا العالم عن بكرة أبيه الأولى كانت أوروبية بحتة اندلعت من موسكو أما الثانية فكانت شرقية حتى النخاع ، ولكنها كانت من أتباع الشيوعية حتى "كارل ماركس" لم يضع في تخيلاته السياسية هذه الطفرة السياسية العالمية ، فهو كان يرمي بتأملاته إلى أوروبا الغربية الصناعية إنجلترا الصناعية . تسييس شعوب العالم ابتدأ حينئذ إلا أن مفهوم اللامعروف أدى بالإنسان عالميا إلى أن يحتار بأمره .

---

[2] أنظر للملحق شكل (2 / أ - ب)

ثانيا ، مع أن الرأسمالية العالمية حاربت المد الشيوعي العالمي بكل القوى التي لديها ، لكنها واجهت مدا ديكتاتوريا فاشيا نابعا من ألمانيا في وسط أوروبا الصناعية . إلا أن هذه الديكتاتورية الأوروبية تحالفت مع الديكتاتورية اليابانية . هذا الدكتاتوري العالمي فرض على الرأسمالية الدولية بأن تتحالف عسكريا مع الشيوعية العالمية المتمثلة بالاتحاد السوفييتي وحلفائه ، واللامعروف هنا غدا جليا للعالم ، إلا أن هناك حسابا بشريا يوضع بالحسبان عالميا . من الطرف الشيوعي العالمي فقد خسر الاتحاد السوفيتي اكثر من خمسة ملايين إنسان ، أما الصين التي كانت منقسمة داخليا فقد كانت تضحيتها الإنسانية جمة ، ولكون الصين جزءا لا يتجزأ من الحضارة الشرقية فالأعراف الاجتماعية كانت مفهومة ومدركة للغازي الياباني . ففي مقاطعة صينية واحدة اغتصب الجيش الياباني مائة وسبعة وأربعين ألف امرأة صينية من عدد سكان هذه المقاطعة الذي لم يزد على نصف مليون مواطن صيني ، وفي الآن ذاته استخدام الرأسمالية العالمية من طرف الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة النووية ضد اليابان ، الذي أدخل العالم المتسيس في متاهات عالمية جديدة، واللامعروف أضحى مدركا .

ثالثا ، الإرهاب الدولي احتل القنوات الإعلامية العالمية . لابد من الوضع في الاعتبار هنا أن ما أطلق عليه بالإرهاب العالمي بعد منتصف عقد الخمسينيات من هذا القرن لم يكن جديدا على الإطلاق ، فمنذ الخليقة والإنسان يمارس الهوية ، ولكن بعد منتصف القرن العشرين عرجت الرأسمالية الإعلامية العالمية إلى إصباغ جرائم وهمية عن أولئك

الذين أطلق عليهم بالإرهابيين . ولكن في كل هذا هناك المستفيد من هذه الأفعال الإنسانية ، إلا أن الرأسمالية العالمية هذه استخدمت هذه الصفة الإرهابية لتغطي جرائمها السابقة واللاحقة ، واللامعروف أصبح مدركا للإنسان .

رابعا ، التسييس العالمي لشعوبه بلغ ذروته بعد عقد الخمسينيات من القرن العشرين . هذه الطرفة التسييسية الشعبية ابتدأها البعض من الذين أطلق عليهم بالمثقفين ، العقل المثقف هذا حاول قصارى جهده أن يخرج من المآسي الإنسانية المتعددة ، كما أن المثقفين أنتجوا خميرة أفكارهم خلال الحروب وهم في الآن ذاته متخلفين ، فالرخاء والسلم الوهمي ينتج عنه العجائب المخلصة الثقافية . جوهر الموضوع الثقافي هنا يحوم حول مفهوم الاغتراب السياسي والاجتماعي .. الخ ، هذا المفهوم الاغترابي - الثقافي كان آنذاك في أوروبا الغربية وبالأخص في فرنسا . فالمغترب ثقافيا يأتي إلى الوجود ويرحل مغتربا . الروائي الفرنسي ألبرت كامو "ALBERT" "CAMUS" توج هذه المحنة الثقافية .

خامسا ، هذا الوضع المسيس عالميا لشعوبه خلق لغة سياسية محددة وفي الآن ذاته مرنة . هذه اللغة المسيسة شعبيا طفحت على التنظيرات السياسية السائدة آنذاك . من حيرتهم الألقابية المسيسة الكثير من هؤلاء المثقفين وخاصة في الغرب الرأسمالي وبالأخص في أوروبا أنقذتهم الشيوعية العالمية . مصطلحات سياسية حفظت ولكن التحليل أمر آخر كليا "NEW COLINAILISM" ترجمة حرفية لما أدى إلى تعقيد الأمور الإنسانية ، هو كان تسييسا في المحصلة النهائية شعبيا ، مصطلح كهذا كان مفروضا أن يكون

معادلا لمفهوم آخر ، ومنه برزت مصطلحات مسيسة أخرى كذاك الذي لقب بالإمبريالية "IMPER IALISM" مصطلح مسيس كهذا المفروض بـــه أن يكون عسكريا واقتصاديا من منحنى القــوة ، ولكن الأمر هــذا ينطبــق أيضا على الشيوعية العالمية .

سادسا ، هذه الطفرات التاريخية للإنسان تركت ترسباتها المسيسة شعبيا . هذه الكره لكل الأنظمة السياسية الحاكمة غير كتلتي الرأسمالية الشــيوعية وحول العالم تأثرت بها ، و كانت هناك عدة مظاهر حول العالم ، مـــن صامته إلى الإضراب عن الأكل إلى حمل الســلاح المــدوي والى تعــالي حناجر العالم . شعوب هذا العالم المسيسة هي التي أقفلت جدار تســوس الحضارات العريقة التي كانت على حافة الانفجار وليس الثورة .

سابعا ، جملة وتفصيلا كل هذه الأمور التسييسية حول العالم أدت بالتالي إلى مراجعة الذات الفكرية . التنظير من جديد لا يعني على الإطــلاق أن الإنسان المسيس قد فقد علاقته الآنفة مع كل الذي طرح في الســابق ، ولكن المطروح آنيا يختلف إطلاقا عن التنظير الدولي الذي أضحى مجمــدا من الأساس ، فكل الذي عرفه وأدركه العالم المسيس منذ انطلاقة القــرن العشرين في أوروبا العظمى المتمثلة بالمملكة البريطانية وفرنسا وبقية مـــن الدول الغربية التي كان لها باع طويــل في ممارسة مهنـــة الاســتعمار . ولكن مع التسييس العام لشعوب العالم من ثورات وقلاقل عارمة ، فالعالم السياسي لم يعد كما كان ، فهناك قوى عالمية تخطت فــورة الشــعوب حول العالم ، فالقيم الإنسانية كالديموقراطية لم تعد حكرا على أحد حــق

الشيوعية العالمية كانت تنادي بذات الشيء فالتسييس أضحى معلوما للجميع .

ثامنا ، هناك فترتان تاريخيتان ساهمتا بطريقة مباشرة في التسييس العالمي للشعوب . الأولى انحصرت في العامين 1946–1947 أما الثانية قد انحصرت كذلك في سنتين متعاقبتين 1970–1971 . الفترة الزمنية الأولى صادفت الطفرة الاقتصادية العالمية التي برزت على العالم برمته ، ولكن الساحة السياسية بقاعدتها الشعبية كانت مفتوحة على مصراعيها ، كانت فتره عالمية السعي وراء الثراء السريع مطلبا لا ينازع بها ، أما الفترة الزمنية الثانية و بالأخص عام 1970 فقد كان عاما دوليا سواء من الشرق أو الغرب يمتاز بتفتح زهرات ثقافية عالميه بلا حدود . اتساع رقعة الثقافة العالمية تعود دائما إلى الثقافات السالفة ، من بين كل هؤلاء كان جيمس جويس " JAMES JOYCE " بروايته الايرلندية بوح ثقافة الغرب في قصته التي أطلق عليها "ULYCES" كانت نقطة انطلاق ثقافة عالمية يشار لها بالبنان لا لصعوبتها اللغوية و لكن لتعطش الإنسان للمعرفة ، فاللامعروف انكشفت أسراره .

تاسعا ، الحرب العادلة هي التي تصنع التاريخ . خمسة عقود من القرن العشرين و الشعب الفيتنامي يرزخ تحت نيران الاستعمار الأوربي و عندما تطورت الألقاب السياسية العالمية إلى مرحلة الإمبريالية فالولايات المتحدة الأمريكية ترأست هذه الموجه الرأسمالية العالمية . " خوشه منه" في المقابل ترأس معارضة هذه الرأسمالية العالمية . خمسة عقود مضت و الألوف المجمعة من الشعب الفيتنامي ضحوا بأرواحهم في سبيل واحد

ألا و هو الاستقلال الوطني . هذا المطلب السياسي لم يكن شيوعيا بـــل كان إنسانيـــا في المحصلة النهـــائية . إلا أن خوشه منه بتجاربه كان بعيد الأفق و بالتالي اتخذ منطقا عقليا و ذلك باتباع سياسة المقولة التي ذكرها: **" سنأخذ حرب تحرير فيتنام لتستقر على أبواب البيت الأبيض " !.**

عاشرا ، تحرير " فيتنام " أثبت عدة قواعد و التي من أهمها الدور الشـــعبي في كل هذه الأمور الإنسانية المصيرية ، هذا الدور الشعبي كان له تأثـــير على مستقبل الأجيال اللاحقة . "خوشه منه" كان يدرك مسبقا معـــنى الديموقراطية في الدول الرأسمالية الغربية و بالأخص الولايـــات المتحـــدة الأمريكية . الاحتلال العسكري من الولايات المتحدة الأمريكية لفيتنـــام ووجه مواجهة نضال مسلح شعبي من طرف و من الطرف الآخر رفـــض الشباب من الولايات المتحدة الأمريكية الانخراط في هذه الحرب . هـــذه الحركة الشعبية من الطرف الآخر والهروب منها و بالتالي أطلق عليـــهم باللغة العامية في الولايات المتحدة الأمريكية بأنهم " DRAFT DODGERS" مـــن هؤلاء كان - بل كلينتون" الذي أصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

حادي عشر ، التسييس الدولي في عقد السبعينيات بلغ ذروته . غليـــان العالم الثوري تم استمراره حتى نجاحه . هذا العقد من تاريخ الإنسان كان عقدا غدا بملاحظة بسيطة أن أرض العالم أضحت مقبرة جماعية و هـــذه المقبرة الجماعية كان منبعها ما أطلق عليه آنذاك " بالعالم الثـــالث" إلا أن هذا العالم كان مرتعا لإصدار فنون القتل القادم من طرفين متناقضين مـــن رأسمالية و شيوعية عالمية . هذه السواسية في القتل الجمـــاعي وضعـــت المثقفين في عوالم الرأسمالية و الشيوعية في ورطة فكرية ، لعـــل المثقفـــين

الفرنسيين أصابوا باللقب أولئك الذين أطلقوا عليهم " TIRE DE MONDE " لعل البعض من أولئك المثقفين استخدموا اللقب هذا هروبـــا مـــن واقعـــهم الإجرامي الحضاري ، فالمعلوم هنا لم يعد له أي خزي يذكر .

ثاني عشر ، عقد السبعينيات من القرن العشـــرون نتـــأ منـــه الأدب السياسي غير المتوقع . هذه الكرة من القرن هذا فعقد السبعينيات أتخـــم العالم بأدب –سياسي اهتم بالأساس بموقع القاعدة الشعبية الـــتي أطلـــق عليها بالبؤساء . الأدب السياسي المغادر للعالم من " أمريكا اللاتينيـــة " أدب سياسي مختلف جذريا ، فالدولة كانت متكاملة البنيان ، و لكـــن كانت هناك مشكلة جماهيرية واحدة و لا غير ، هذه المعضلة كمنـــت في ثنايا قوة العسكر . الأدب – السياسي من أمريكا اللاتينية كـــان أدبـــا ساخرا من فئة العسكر الذين حكموا بقوة السلاح ولا غـــير ، فتجربـــة أليندة في شيلـــي "CHELI" خير دليل على هذا ، فهو قد وصل إلى الســـلطة بأسلوب ديموقراطي حقيقي ولكن اغتالته ثلة من العسكر الدكتـــاتوريين ، فمن يصدق من هنا فاللامعروف أصبح جليا !

ثالث عشر ، نهاية عقد الستينيات و حتى نهاية عقد السبعينيات حـــاول الإنسان سواء من الرأسمالية الدولية بقيادة الولايات المتحدة أو الشـــيوعية العالمية متمثلة بالاتحاد السوفييتي أن يغزو الفضاء الخارجي باحثا بـــــلا طائل عن الجديد في الكون . الهروب الفضائي للإنسان مـــن الأرض لم ينتج أي جديد هنا ، الجديد هنا برأيهـــم أن رائد الفضاء الأمريكـــي "ARMSTRONG" على سطح القمر لفترة وجيزة تاركا علـــم الولايـــات المتحدة الأمريكيـــة وعليه مرطبـــات أطلق عليـــها " COKA COLA" أمـــا

"يوري غاغرين " من الاتحاد السوفييتي فلم يفعل شيئا على الإطلاق لأن كل الذي فعله هو أن دار بمكوكه حول الكرة الأرضية وجزء من كوكب القمر وعاد إلى الأرض هذا اللامعمول ظل كما هو !

رابع عشر ، ضجيج إعلامي دولي طغى على الكون . الضجيج الدولي هذا كان منبعه الأساسي الحكومات المسيطرة سواء على الرأسمالية أو الشيوعية العالمية الطرف الأول كان ولا يزال مدركا من ذي قبل . ولكن الشيوعية العالمية النابعة بالأخص من موسكو كانت مدركة إعلاميا ودوليا للذي يحدث حول العالم من مآس ، وكذا يذكر عن الرأسمالية وتوابعها من عواصم العالم الرأسمالية .

خامس عشر ، بداية عقد الثمانينيات ، غطى شبه خمول سياسي على العالم . لعل مرجع هذا الوضع الدولي الأساسي أن قمم الرأسمالية والشيوعية تنفسوا الصعداء السياسية لكي يراجعوا دورهم بالعالم ، ولكن هذه خلقت عدة أزمات إنسانية للبشر على جوانب الخريطة العالمية، وهي إن كانت كذلك فعدم الاستقرار الدولي أمر جلي للعيان ، فاللامدرك أضحى معروفا .

سادس عشر ، هذه الفجوة السياسية التي عاصرها الإنسان في عقد الثمانينات جرفت معها أرواح العديد من أبناء الشعوب التي كانت تضم مواطنين أطلق عليهم أتباع دول العالم الثالث أو النامي ، ولكن لا جديد طرأ ، ومن هنا فان محاولة إغفال هذه الفجوة السياسية العالمية استدعت التضحية الإنسانية التي لا حصر لها منذ الخليقة .

سابع عشر ، سعادة الآخرين لن تأتى بإتعاس البعض من الناس ، وعليه فإن كان كذلك فإن هؤلاء البعض الذين أطلق عليهم بالبؤساء بالعالم إنما يدركون تمام الإدراك أنهم يضحون بحياتهم وبالأخص فرضيا لا لشيء مليء بالأحزان الإنسانية بل ليسلموا العالم رسالة إنسانية خالدة. محتوى هذه الرسالة الإنسانية الخالدة معبر عن هذا التطور الإنساني مع ما عاناه من الأنماط السياسية العالمية المتنوعة من الاستعمار والإمبريالية والشيوعية والاستعمار الجديد .. الخ

ثامن عشر ، إذا كان الإنسان هو المقصود في هذا المحك فإن طوره التاريخي تدرج إلى قمته ، فهذا الإنسان تطوره كان مقاسا خلال تاريخه . العبرة هنا بوجود قوته ورزانته العقلية [3] .

1- الطور التاريخي السياسي المتمثل بالاستغلال المطلق للاستعمار للدول التي استعمرت كافة .

2- انطلاقة فكرية بدأها " كارل ماركس " في عام 1888 م ، ومن ثم انطلق الفكر الشيوعي عمليا من موسكو .

3- الشيوعية صدقت بهذا الموضوع لتطور الإنسان خلال تاريخ الرأسمالية العالمية الذي تدرج تاريخها إلى المرحلة الإمبريالية التي كان قوامها استعمال القوة العسكرية .

4- نوع جديد من الاستعمار القديم حيث حقق الاستعمار أهدافه باستغلال طرق رأسمالية غير مباشرة .

---

[3] أنظر الملحق شكل (3)

5- الطفرة التاريخية التي اتخذتها شعوب واجهت عدة صعـاب أدت إلى العزيمة التاريخية .

6- تلاحم شعوب العالم الثالث مع الشعوب العالمية الأخرى أحـــدث هذا التطور الإنساني الذي يشار له بالبنان .

تاسع عشر ، الفجوة السياسية بين المسميتين بالدولتين العظميـــين ودول العالم الأخرى ضررها كان لا يحصى إنسانيا من مجاعة وفقر...الخ تـــرك العالم الإنساني بلا رقيب يذكر . وعليه فكان انتشار الديكتاتورية أمـــرا واردا . عقد الثمانينيات من القرن العشرين كان عقدا مميزا لتربع هـــؤلاء الديكتاتوريين ينهشون أجساد شعوبهم بلا حق يذكر منطقيـــا ، ولكـــن عندما تحارب الشعوب في سبيل انتشال حقوقهم المسلوبة فإن التـــاريخ الإنساني يعوي عاليا بصراخ مطالبا بحريته المسلوبة ، فإذا كان المطلـــوب حمل السلاح لإطلاقه ضد الديكتاتورية ، فهذا الأسلوب قـــد أجـــازه التاريخ الإنساني .

عشرون ، القاعدة الأساسية هم خميرة الإنتاج لتاريخ الإنسانية . من كل الذي ذكر آنفا من أحزان البشرية فان كل الذي يتبقى أن هذه القـــاعدة الشعبية العالمية شملت الجميع حول العالم ، وعندما تشمل المآسي شـــعوب العالم فهناك تبدو في أفق وجودية الإنسان برز فوق حنـــان الإنســـانية ، وهذا يشمل الجميع حول العالم ، فهناك وحده إنسانية تحتوي الكـــل . فمع كل البؤس المحيط بالإنسان حول الكـــون فهناك أمل يشع بالأفـــق

مناديا . صرخات إنسانية تعلو فوق كل توقعات الإنسان من كل هـــذه الأمور يصبح الإنسان كمن يعدو ببطء والإنسان المعني حـــول العـــالم يتشبث بآماله المتشعبة .

ومهما يكن من أمر ، الإنسان هذا قد خبر أحلك الظروف الآنيـــة أو بعيدة المدى ، فهذا الإنسان عبر التاريخ ظل كما هو منذ الخليقـــة لا جديد طرأ على وجوده كإنسان ، كل الذي طرأ على وجوده هو ذلـــك التساؤل عن كيفية التأقلم مع وجوده على الكرة الأرضية . تساؤل كهذا أدى إلى عدة عثرات تاريخية ولكن في المحصلة النهائيـــة بـــزغ الإنســـان بأحسن حلل الانتصار ، هو انتصار عالمي إنساني في المحصلة النهائية هـــذه التي يطلق عليها بالخميرة الشعبية .

الفصل الثاني

المفاهيم المتعددة للنظام السياسي الدولي

النظام الدولي هذا إن اتفق مسبقا انه ساري المفعول ، تعرض من بداية القرن العشرين إلى نهايته إلى عدة تغيرات منها ما هو جذري ومنها العابر ، وعليه هناك مفاهيم دولية متعددة برزت إلى سطح الأفكار لبعض من الذين اعتبروا أنفسهم قادرين فكريا على تحليل الطوارئ السياسية الدولية وغيرها في العالم . التغيرات هذه التي طرأت على العالم السياسي بعضها كان متعمدا ومخططا له مسبقا وبعضها الآخر حدث بلا سابق إنذار .

من كل هذا وذاك تظل العبر الإنسانية هي المرجع الأساسي لقياس استمرارية الإنسان أو عدمه . ومع أن هذا الوضع الدولي السياسي كان له قوانين وضعت بالأساس لإدراج شروط معينة لأي ظرف أو آخر ولكنها كانت عرضة للتغيير متى ما سمحت الفرصة لذلك. التذبذبات الدولية - السياسية هذه كانت متشعبة ولكنها ساهمت بطريقة مباشرة في تسييس السياسة الدولية بقاعدتها الشعبية العريضة في بناء الحضارات الإنسانية التي تشعبت خلال القرن العشرين[4] .

[4] أنظر للملحق شكل (4)

ركائز تسييس الدولة : بناء الحضارات الإنسانية أم عدمها

الأطوار السياسية التاريخية التي آل إليها الإنسان في القرن العشرين في سبيل بناء حضاراته المتعددة كانت مليئة بالمعوقات حتى التخمة . هذه المعوقات تركت مخلفات إنسانية من جرائها وضعت الركائز الأساسية في بناء حضاراته المتشابكة . من هذه الانطلاقة التاريخية نجمت عدة وقائع أصابت جوهر الوجود الإنساني ، ولكن توجد عدة تحفظات على الأطوار التاريخية هذه والتي منها :

أولا : هناك صلة وثائقية تاريخية بين ثلاثة أعمدة من عدم ، أو ضآلة بناء ركائز الحضارات الإنسانية . وهذه الأعمدة اللابنائية تربطها وحدة كترابط تاريخ الانحطاط الإنساني . وكما للمجد الإنساني تاريخ يدون فهناك كذلك تاريخ يفسر الانحطاط الإنساني ، ومن هذا الواقع المحدد تاريخيا للانحطاط الإنساني يبدو للمؤرخ أن هناك مبارزة تاريخية بين هؤلاء الذين مرماهم الوحيد وضع المآسي الإنسانية على صفيح من الدم البريء .

وفي هذا المحفل المأساوي لتاريخ الإنسانية يؤدي التسييس المحلي والدولي دورهما ، ولكن السباق التاريخي في سكب دماء الأبرياء له حقيقة تهز خوفا منها ذاك الذي يطلق عليه بالديكتاتور، وهذا الأخير هو الذي فرض عليه أن يؤسس دولة من نوع ما ، و لم لا للجميع حق أن يؤسس دولة ، إلا أن هذا برأي الآخرين عذر أقبح من ذنب ، فالديكتاتورية لها مدرسة فلسفية ، كأنها مذهب سياسي خاص بها ترعاها وتدافع حتى الممات على استمراريتها .

ومهما يكن من أمر فهذه الديكتاتورية المعنية منذ بداية القرن العشرين حتى نهايته تسايرت طواعية مع القوانين الدولية ، أو ما شابه هذا والتي وضعت بطرق هلامية . الديكتاتورية تعي قبل أي شيء آخر بأنها الدولة ، هي التي خلقت هذا الوهم السياسي إذ انتشر دوليا فهو يخلق أوهاماً سياسية أخرى كذلك ولكن على ذات الوتيرة . وهذه المحصلة السياسية وإن كانت تعتلي قمة وجودها السياسي في الدولة فحتى الحكم الاستبدادي يتحول إلى وهم سياسي بشكل دولة ، هو كذلك لأن كل شعوب العالم لها قناعة مؤكدة بهذه الفرضية الإنسانية .

ولكن مع كل هذا فالديكتاتورية تؤدي واجبها التعسفي على أكمل وجه ، فهي خلقت لتقوم بهذا الدور . أداء دواليب الاستبداد الشعبي هو الفناء بصوره المكررة . حتى تصل العملية إلى مرحلة يصل الديكتاتور إلى خلاصة مؤكدة بأن وجوده على قمة الهرم لهو من ممارسة حقوقه وليس غير . المرء هنا يجب أن يضع في الاعتبار هنا أنه حتى الديكتاتور له الحق في الاعتقاد بهذا لأن الشعب بقاعدته التاريخية أرهق حتى الرمق الأخير حتى وصل إلى قناعة ذاتية بأن هناك لا جدوى مطلقة ، وعليه فمعظم الشريحة الشعبية لا تجد طائل من التعاون بأي شكل من الأشكال مع جاهل فقد إنسانيته .

جميل أن يفتخر الحاكم بحكمه ، وهذا الجمال بالحكم لا يخصه على الإطلاق لأن القاعدة الشعبية هي التي تدور حولها أنظمة الحكم . ولكن أين الجمال عندما يقرر الدكتاتور بذاته متى وأين يفني شعبه الذي فرض عليه عنوة إبرام صك الولاء لحكمه التعسفي ؟ أسئلة كهذه لا

يعيرها الدكتاتور أهمية من بعيد أو قريب فهو أكثر مـــن راض وقانـــع بحكمه ، فأين المشكلة إذن ؟ المعضلة تكمن في أن هذا الدكتاتور يحكـــم دولة ، ودولته معترف بها دوليا ، وهذه الدولية كذلك لهـــا مؤسســـاتها وشروطها ، وتحت أي أسس منطقية تقبل هذه الدولة في حظيرتها ؟

الدولة الدكتاتورية هذه مصيرها النهائي عشوائية الحكم المدروسة . هذه المدرسة الدكتاتورية لم تنبع مـــن لا شـــيء ، فعشـــوائية الدولـــة الدكتاتورية هي بالأساس تعتمد على أن القـــاعدة الشـــعبية إلى عـــدم الاستقرار من كافة الأوجه ، فبالتالي لا شيء ينجز على الإطلاق في سبيل خدمة الدولة سواء آنيا أو مستقبليا ، فالكل من هذه القاعدة الشعبية قانع بأن كل الإنجازات لا طائل من ورائها ، وعليه فدكتاتوريـــة عشـــوائية الدولة ترى في هذا الوضع خير منقذ لاستمرارية حكمها التعسفي .

ولذا عندما تتحول هذه الدولة العشوائية – الدكتاتورية إلى المحـــافل السياسية الدولية فلديها كل الحقوق القانونية من نوع ما في التمـــرس في السياسية الدولية ، وفي هذا المحفل الدولي ينبع منه حقائق دولية ، والـــتي منها على سبيل المثال هنا الأوضاع الإنسانية . من الوضـــع الإقليمـــي و القاري الذي يجمعهم جميعاً في قرارات استراتيجية محـــددة ، وفي الآن ذاته فهذه الإستراتيجيات لها كذلك شروطها القريبة والبعيدة المدى ، وفي الآن ذاته ينبع من كل هذه الأمور أهمية المحافظة على مصالح الدولة والـــتي فيها بالطبع مصالح الدولة الدكتاتورية التي تعم بها عشوائية الغوغائية مـــن كافة أفرعها الإنسانية .

في كل هذه المحافل الدولية فالدبلوماسية تؤدي دورها على أكمـــل وجه ، و هنا تؤدي الحنكة السياسية و عمق الدبلوماسية أكمل و أعمـــق رسائلها ، فلهذه الدبلوماسية الدولية كذلك شروطها و قوانينـــــها ، وفي هذا المحفل فإن الدبلوماسية الدولية بالتحديد ينحصر دورها في حماية دولها و الحفاظ عليها ، وهنا تختلط كافة الأمور السياسية و الاقتصادية والأمور الإنسانية الأخرى في بعضها بعضا ، ولعل الذي يعقد كل هذه الأمور هو العامل العسكري ، وهنا كذلك تتشعب الأمور الإنسانية الأخرى .

الأمور العسكرية هذه لها جم التعددية . فالتبعية العسكرية الدوليـــة قد تشعبت واختلطت منذ بداية هذا القرن إلى نهايـــة القـــرن العشـــرين بأسلوب وطرق دولية سهلت من جرائها تبادل أسلحة الدمار هـــــذه إلى حد ومستوى أصبح فيه بمقدور الحاكم الدكتاتوري للدولة العشـــوائية أن يلج أبواب تجارة الأسلحة العالمية من تصدير واستيراد أســـــلحة فتاكـــة ومتنوعة تؤدي إلى فناء البشرية عن بكرة أبيها .

ومن هنا تتدخل الأنماط المتعـــددة والمختلفـــة تاريخيـــا لأشـــكال الحروب، المرء هنا أمامه قواميس متراصة ومكتظة من تجارب الإنسانية في التمخض وممارسة الحروب ، وكلها تركت عبرا للإنسانية لتنـــــهل مـــن دروسها ، ولكن ليس بالضرورة أن يكون أولئك الذين أداروا دفة المعارك من جنرالات وقيادة العساكر المختلفين هم الذين تركوا بصماتهم علــــى تاريخ المعارك . لعل الفيلسوف الصيني لاو دزو " LAO TZU " الذي كتـــب عالميا عن الحروب منذ أكثر من ألفي عام قبل الميلاد لا يـــــزال المرجـــع الوحيد ، إن لم يكن الأخير لكيفية هزيمة العدو .

إلا أن دكتاتورية القرن العشرين اتخذت مبدأ آخر في هذا القـــرن . وكل الذي أداه هؤلاء الدكتاتوريون أمـــران ، الأول ضمـــان تفشـــي الدكتاتورية -العشوائية في مسقط رأسهم ، أما الثاني فذاك الذي يختـــص بوحدة الدكتاتورية العالمية . العامل الثاني هو الذي أدى إلى حفر هــــوة شاسعة بذاك الذي يطلق عليه النظام الدولي ، إلا أن هذا المفهوم العـــالمي عن النظام الدولي دون بالأساس قبيل الحرب العالمية الأولى ثم انهار هـــذا النظام الدولي ، وبعد نهايتها عاود البعض من البشر إحياء هذا المفـــــهوم العقيم الذي أطلق عليـــه النظـــام الدولي ولكن حدوث الحرب العالميـــة الثانية أطاح بهذا المفهوم ، ولكن بعد نهاية هذه الحرب أعاد البعض مـــن البشر مفهوم النظام الدولي ، ولكن الدكتاتورية العالمية الجديدة أعـــادت ترتيباتها من جديد وحدث المتوقع واحتل دكتاتور العراق دولة الكويت ، ولكنه لاذ بالفرار من جراء المقاومة الكويتية و الدول الـــتي ســـاهمت في حرب تحريـــر الكويت عسكريـــا اعتمدت بالأساس في هزيمة هـــــذا الدكتاتور على كتاب الفيلسوف العسكري الصيـــني " لاو دزو" وبعـــد تحرير الكويت عاد هؤلاء البعض تكرار حقيقة وجود النظـــام العـــالمي السياسي ، ولكن الدكتاتورية العشوائية التي تحكم دولتها لا تزال تقبـــع وتتلذذ بسلطتها .

الوحدة السياسية العالمية للمنشقين الدكتاتوريين العشوائيين في العالم اللاسياسي هذا ولجوا بابا آخر يعتبر أكثر حنكة من غيرهم . دكتاتوريـــة الدولة العشوائية لها نفس طويل ومريح ذاتيا ، مرجع هذا الواقع انفرادهـــم بالحكم التسلطي ، لذا فلديـــهم الحنكـــة الذهنيـــة في كيفيـــة ضمـــان

استمراريتهم في السلطة التعسفية هذه بعشوائيتها ، وكما يتعلم الغير عن هؤلاء الدكتاتوريين و يفعل البقية من الدكتاتوريين ، وهذا التاريخ الدكتاتوري ترتبط به كافة الحروب العالمية من الأولى والثانية جريا إلى تحرير الكويت .

المدرسة الدكتاتورية هذه إن تمكنت من إنجاز أي شيء في محافلهم الدولية فإنهم حتما استطاعوا الإخلال بعمق هذا الذي يطلق عليه بالنظام العالمي السياسي ، وهذه الحقيقة من إحدى أعمدة المدرسة الدكتاتورية العشوائية ، ولكن قدرتها الذهنية والعملية ساهمت بطريقة فعالة وعملية في التعلم من هذه الدروس التي أدت إلى تلاشي هذا المفهوم الذي أطلق عليه بالنظام السياسي الدولي ليتحول إلى اللانظام السياسي الدولي .

ومن كل هذه الأمور التي دونت سالفا فيبدو أن الدكتاتورية هي وحدة نظام عشوائي دكتاتوري الحكم ، ومن هنا فهذا الذي يطلق عليه منطقيا باللانظام السياسي الدولي قد نجح واستكملت دورته الدموية الإنسانية ، ومن هذا الواقع الدولي المنحط كذلك ، فالسياسة الدولية تبعتها بأساليب منطقية ، ومهما يكن من الأمر فالدكتاتورية التي تحكم قد أدت دورها المنوط بها على أكمل وجه ، لأن المعنيين بشؤون السياسة الدولية هذه قد وقعوا في الفخ .

الفصل الثالث

القاعدة الشعبية ومفهوم التسييس الدولي

كل المحتوى الرئيسي للتسييس الدولي الذي يقبع في ثنايا اللانظـــام الدولي يحتل مكانة سياسية خاصة التي تقرر كيفيــــة اتخــاذ القــرارات السياسية ، إلا أن هناك أمورا متعددة تخص القاعدة الشعبية العريضـــة في العالم التي إما أنها تدفع قياداتها السياسية باتخاذ القرارات في المحافل الدولية السياسية المتعددة أم يحدث العكس . هذه اللمحة السياسية تعود بحقيقتـها إلى نظرية إنشاء دولة " أفلاطون " ، ولكن في القرن العشرين لم يتغير أي شيء جديد ، فالخلية السياسية الإنسانية لا تــزال لهــا تستند بصـــورة رئيسية على قاعدتها الشعبية لأنها أصل كل الإنتاج الإنســاني في الخليــة السياسية فهي التي تبني وتشد أزر بناء صرح حضاري مميز لكل الــــذي يشمل بداية ونهاية هذه الحضارة المستقبلية المرجوة .

الدكتاتورية العشوائية لا تتفهم فقط هذا الأمــر الشعبي الحســاس بل تقدره حم التقدير ، فمنذ ابتداء القرن العشرين بدأ الزحف البطـــيء للتقنية، كانت هناك مساوئ و محاسن للابتكارات التقنية هــــذه علــى الإنسانية ، ومن هنا سايرت الدكتاتورية العشوائية كل هذه التطـــورات ضمانا لاستمراريتها ، ومــع تطور التقنية العالميــة بعد الحرب العالميــة الثانية اختلطت وتشعبت الأمــور بسبب الحـــرب ، ومــهما كـــان يذكـــر هنا فإنــه ما من شــك أن تطــور التقنيــة العالميــة أوحــت للدكتاتورين على شاكلة " هتلر و موسليني" باستغلال هذه التطـــورات

التقنية العالمية بثمن سياسي بخس اعتمادا على قاعدتهم الشعبية العريضة ، وكذا فعل الدكتاتور العشوائي " صدام حسين" في المراحل الأخيرة من القرن .

من هنا فمهما يكن الأمر بالنسبة للقاعدة الشعبية العريضة فإن هذه الأمور التعسفية من بطش وغيره من أساليب الانحطاط قد تمرس وتعود عليها الدكتاتوريون على مر الأزمنة مع وجود حقيقة سفك الدماء البريئة . الفاتورة الدموية الشعبية هذه تعني أن معارضة ممارسة العشوائية- الدكتاتورية قد تتوافر هناك منافذ دولية لترسيخ مطالبها الإنسانية . ولكن هذه التحركات للقاعدة الشعبية بمجالاتها الدولية عرضة للفشل في أي لحظة ، ومن جرائها يكون بإمكان قيادة الدكتاتورية العشوائية المحلية أن تتغلغل في المحافل السياسية الدولية بجدارة لإثبات استمرارية جلوسها على كراسي الاضطهاد هذه .

الكل يتحدث دوليا عن حقوق الإنسان ، وحتى قيادة الدكتاتورية -العشوائية الدولية تمتطي هذه الجياد الخيالية المطالبة بحماية حقوق الإنسان ، ومن جرائها تتعقد الأمور الإنسانية ، ولكن المعادلة الدولية السياسية وغيرها غير متعادلة بين الطرفين ، ففي الخانة السلاحية المحلية فالدكتاتورية تتلذذ بحرية في نهش شعوبها وكذا يذكر عن كافة وأطر المؤسسات الدولية ، فواقع الحال هنا دوليا أن مجالات التلاعب بمفاهيم الدكتاتورية العشوائية يغدو أمرا يسيرا ، فوحدة الدكتاتورية الدولية هي التي تطيح جانبا بكافة المتبقي من مفهوم العولمة الذي هو بالأساس من المضامين التي يطلق عليها بالنظام الدولي السياسي .

لعل الرعونة السياسية الدولية لمحافل الدكتاتورية العشوائية تكمن في حرية التنقل من شعار سياسي لآخر دون المساس بمصالحها الخاصة بهـــا وبمواقفها ، فهي تستطيع وبنجاح أن تتأرجح بين كل وكافة الـــدول في العالم من شيوعية ورأسمالية وما بينهما . هـــذه الحريـــة الدكتاتوريـــة - العشوائية في السياســـة الدوليـــة المتأرجحة بين نـــار الحروب المشـــتعلة والباردة تساهم بأساليب مباشرة في تكملة ضيعان أي من الدول الأخرى في العالم في صالح القضايا الرئيسية التي تهتم بمصير الإنسانية .

من كل الذي دون سابقا فإنـــه يبـــدو أن ذاك الذي يطلق عليـــه النظام الدولي السياسي لاحقـــا بمفهوم التسيس للقاعدة الشعبية العريضة، لابد هنا مـــن أن نضع في الاعتبـــار أن الدكتاتورية - العشوائية إنمـــا مجالاتها في العمل لا تعتبر فقط محددة دوليا بـــل حتى جـــهدها المحلـــي كذلك أيضا. النقطة الأخيرة بالذات تتطلب من القاعدة الشعبية التمـــرس في العمل الكفاحي بنفس طويلـــة عسكريـــا - سياسيـــا ، ومتى يطـــرأ هـــذا التغيير الشامل فحتما سيدور تاريـــخ الألقاب السياسية الدوليـــة منقبا عن أثواب جديدة ملائمة على أي حـــال ، فالتـــاريخ السياســـي للتسييس دوليا ينبع بالصميم من الفطرة الوطنية التي هي جوهر الموضـــوع الدولي في هذا المحك ، والأمر إن كان كذلك فلابد من العودة من جديـــد لأجل اكتشاف نظرية جديدة تلائم على الأقل مرحليا الوضـــع الـــدولي السياسي العائم على سطوح المعرفة الإنسانية .

التلاحم الداخلي للنظام السياسي والأبعاد الإقليمية

من كل الذي يذكر عن تسيس القاعدة الشعبية العريقة ، فـالوضع الإقليمي العام لهذه القاعدة يؤثر وتتأثر بطريقة مباشرة في اتخاذ القـرارات السياسية النهائية لأي خلية نظامية تذكر . الوضع الإقليمي هـذا يحـدد سهولة أو حتى صعوبة اتخاذ هذه القرارات السياسية أو غيرها ، ولكـن مهما يكن من أمر فالمرء هنا عليه الوضع في الاعتبار أن كافة القـرارات السياسية أو غيرها إنما تعرج بالقاعدة الشعبية العريقة في متاهات سياسـية لا طائل من ورائها تحت جميع الظروف ، وفي الآن ذاته يظهر للعيـان أن هناك مزايا محددة تظهر من الاستفادة من هـذه الهـزات السياسيـة أو غيرها [5]. لذا فجوهر الموضوع هنا يظل القاعدة الشعبية العريضة للـدول المسيسة ، و يتبع هذا الواقع الإقليمي عدة أمور إنسانية تسترعي انتبـاه المراقب القريب والبعيد ، ومن هنا قد يخطئ القريب بينما الآخر قد يكون على عكس هذا الوضع الإنساني .

هذه المعضلـة الإنسانيـة خلقت عدة صعـاب خـلال تـاريخ الإنسانية، إلا أن ذلك تواكب وتكرار المعضلات المتعددة على كـاهل شعوب القاعدة الشعبية العريضة ، إلا أن خطورة هذا الانبعاث التكراري تكمن بنتائجه . وهذه بدورها لها تأثير مباشر على الدولة المسيسة التي من المفروض بها أن تكون مستقرة ، بالأخص سياسيا . أما الأمور الإنسـانية الأخرى فلا تتعدى كونها تحصيلا حاصلا ولا غير . لكل دولة على وجه الأرض لقاعدتها الشعبية تكمن هناك أهداف معلنة أو سـاكنة بالنسـبة

[5] أنظر الملحق شكل (5)

للعلن . هذه الأهداف المعلنة للدولة المسيسة هي أهداف عرضة للتغيير حسبما تمليه الظروف المنهارة عليها من كل جهة ، على أنه وحتى وجود هذه الأهداف للدولة المسيسة المعنية لابد وأن تمضي بعدة مراحل، عجلة دوران هذه الأهداف المعلنة للدولة المسيسة إنما تغدو غير مدروسة ، ومن هنا المراقب عادة يضع في الاعتبار فرضيات ، هي بدورها تضيف احتمالات مستحدثة ، كل هذه الظروف والمستحدثات والاحتمالات تؤدي للوصول إلى النتائج . الوضع الإقليمي حول العالم السياسي عادة يحمل بين ثناياه كافة الاحتمالات من حروب واقعة وأمتعة سياسية مليئة بالسلام .

إلا أن الأهداف البعيدة المدى تطل بأحلام سياسية ، الأحلام السياسية البعيدة المدى بكونها تمتلك قابلية مطاطية سياسية تسعفها بمعظم الأزمات الدولية . الكرة الأرضية - السياسية مليئة حتى التخمة بالمناطق الإقليمية-الاستراتيجية ، وهذه تمتد من أقصى الدويلات المصغرة المترامية في محيطات الكرة الأرضية . جوبا إلى الخليات الإنسانية- السياسية المترامية على الصقيع المنتشر وجريا إلى دولة كوريا الجنوبية والشمالية ، وجريا إلى المحيط الأطلسي وجريا إلى المحيط الهادي ثم إلى الخليج العربي . كل هذه البقع السياسية تحمل بين طياتها مجموعة من قضايا إستراتيجية دولية . هذه المناطق الجغرافية المترامية على المحيطات والبحار والأراضي تفرض إتباع سياسات استراتيجية قد تكون محددة أو متنوعة حسبما تفرضها الظروف الإنسانية ، ومن أهم النتوءات الناجمة عن هذه الأوضاع هو عدم الاستقرار السياسي الشعبي الداخلي .

المتوقع منطقيا من هذه الأوضاع الإقليمية هو انتشار الغوغائية العارمة بها. الإنسان هو المعني هنا ، على أي حال هناك مدرسة محددة تهتم بالغوغائية . المسار الإنساني التاريخي لهذه الغوغائية العارمة يملي على الإنسان أن يتأقلم مع ظروفه الطارئة ، ومن هذه الانطلاقة السياسية الإقليمية تحتم على المرء هنا أن يلجأ إلى السلام كملاذ من هذه الأزمات التعسفية .

الغوغائية السياسية حسبما عليه هذه التعليقات ، تعني بالصميم استخدام السلاح ، وفي معظم الحالات الغوغائية فهذا السلاح أبيض ، وهناك أساليب أخرى لاستخدام السلاح ، ويتبع الأمر هذا منطقيا الفوضى العارمة التي قد تشمل كافة المنطقة الإقليمية ، أي بمعنى أن الحلول التي قد تطرح كل هذه الأزمات هي حلول مرحلية ليس إلا . ومن أحد هذه الحلول هو ذاك الحل الذي يكون شمولية دولية ، والذي يرفع من جرائه الضجيج الإعلامي عن حقوق الإنسان .

ومن هذا الإطار الإقليمي الجغرافي للكرة الأرضية تتبع النظريات المتعددة المختلفة لتاريخ الإنسانية ، وهذا التاريخ الإنساني تدور من حوله عدة نظريات معتمدة في جوهرها على فرضيات وليس إلا ، ولكن لا يمنع كل هذا أن يكون المراقب انتقائيا حتى في كافة مراحل تطور أو عدم تطور تاريخ الإنسانية . في البداية كان هناك الخنجر وفي نهاية القرن العشرين تواجدت صواريخ عابرة للقارات ، ولكن لم يتغير أي شيء يذكر هنا فكلا الحالتان تؤديان إلى فناء الإنسان ، و إن كانت حقيقة تواجد الإنسان جسدا وليس روحا ، و لكن اشتياق الإنسان

للتشبث بالحياة يدعوه إلى أن يخلق الأعاجيب الفكرية و العملية، ومن هذا المنطلق التسييسي للدولة فتأخذ الأمور بأولوياتها من جديد . على أي حال تدور الصورة الإنسانية هنا في محاولة شبه يائسة للحفاظ على نوعية ومعدن الإنسان المعني ، هذا أحد الدوافع الرئيسية لاستمرارية الإنسان في الوجود . الفوضى مقرونة بالغوغائية هو باقتران السلاح لإزهاق الأرواح الباحثة بلا أمل يذكر عن الماء والأكل والملبس والمأوى .

في خضم كل هذا فما المطلوب من الدولة المسيسة أن تؤديه إقليميا التركة التاريخية – الإنسانية تظل من الأمور المصيرية التي تستدعي قبيل أي أمر آخر إثارة التساؤل العام عن كيفية تحويل الأهداف العامة وغير المحددة إلى واقع تلمسه القاعدة الشعبية العريضة ، فإن كانت الأرضية السياسية متراصة الأساس فلا طائل مرحليا على الأقل ، من إقفال القلاع الإقليمية . في جميع المحافل الإنسانية التي تفرض على المواطن أن يتحرك سياسيا أو غيره ، وهذا الواقع الإنساني له كذلك متطلباته وليس بالضرورة شروطه غير القابلة للتغيير في أي لحظة تذكر ، ومن هذا المنطلق ، الأمور الإنسانية تأخذ مجراها الطبيعي في ظروف لدى احتواء الغوغائية على الخلية السياسية الشعبية ، ولعل من أهم هذه الظروف ذاك الذي يكمن في شبه الاعتماد الكلي على الغير لإتمام احتياجاته الإنسانية .

شبه الاعتماد الكلي على الغير يعود بالسياسة الشعبية إلى عهود سالفة استعمارية من رق وغيره ، إلا أنه مع نهاية القرن العشرين فإن

كل الأمور الإنسانية تصيبها الشللية . الأمور التي تهتم بظروف الإنسان المعيشية تسير تباعا وبمنطقية ، ولاحقا لهذه الوقائع الاعتماد الكلي المبني على الشللية يشكل دفعة قوية إلى ممارسة التخلف الإنساني تدرجا إلى العصر الحجري ، و عندها فلا الدولة المسيسة بقاعدتها الشعبية ولا مؤسساتها المختلفة بقادرة على إسعاف شلليتها المرئية .

الإقليمية كمفهوم موجودة منذ الأزل ومع تعقيدات الحياة الإنسانية في نهاية القرن العشرين ، هذه الإقليمية تشابكت مع التطلعات نحو المصالح والأهداف المختلفة للأقاليم الأخرى المتراكمة على حدودها المدونة . لعل هنا القارة الأفريقية لها مكانة خاصة بها ، فهذه القارة غدت بمراحل تاريخية - إنسانية نجمت عنها ومنها مآس إنسانية لا تعد ولا تحصى .

الوضع الإنساني الأفريقي في المحاور الإقليمية له إفرازات تتعدى كونها غشاوات العسكرة التي تؤدي دورها على أكمل وجه ، ولدى حدوث هذا الأمر العسكري فالقارة الأفريقية ومعظم القواعد الشعبية القاطنة المحاور الإقليمية حول الكرة الأرضية بحوزتهم على الأقل ثلاثة أمور إنسانية لابد من وضعها بالاعتبار ، على أية حال هذه الأمور الثلاثة فيها تشعبات أخرى تثير الانتباه .

أ- مهما يذكر عن الخليات السكانية القاطنة في كافة الأقاليم حول الكرة الأرضية هناك بعد طالما تجاهله الآخرون والذي يتمحور حول الوحدة التاريخية لشعوبها . وهي ليست وحدة بمعانيها السياسية البحتة ، ولكنها وحدة تطفو على محياها العابر أهداف تاريخية نابعة من تجارب

السالفين من مسيرة الحياة التاريخية للإنسان، هذا الوضع الإنساني المميز يوجد في المحاور الإقليمية لقارات أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ومن هذا الإطار المحدد فالعرقية تلعب وتؤدي دورها على أكمل وجه.

ب- هناك أمر إنساني عرقي عبر التاريخ طالما عبر عليه المراقبون باستعجال تخوفا من الارتطام به تاريخيا وهو ذاك الذي ينحصر في الاجتماع ، ومن نافل القول التذكير هنا بأن الأمور الاجتماعية دون غيرها من الأمور الإنسانية لها دور مميز حيث تمتزج التقاليد التاريخية الموروثة بأمر لا يستهان به من بعيد أو قريب .

ت- كافة الأمور التي ذكرت سالفا هي أمور من الاستحالة بمكان الاسترخاء لها ، فهناك عاملان مترابطان في سبيل قياس مدى تلاحم واستمرارية الإنسان بوجوده على سطح الكرة الأرضية ، وهما ينحصران في طرفي الاقتصاد والسياسة معا . الاثنان متلازمان عبر وجود الإنسان ، فالمرء هنا ليس بإمكانه أن يتحرك سياسيا دون وضعه الاقتصادي، والعكس صحيح ، ولدى العاملين أسس تحركية معينة قد تساهم برقي الإنسان في الأطوار المتعددة في الأشكال الحضارية في بناء دولة القرن العشرين .

وكل الأمور الحضارية و التحولات المصيرية للإنسان يفترض بها أن تغذي قدرات الإنسان في مسيرته التاريخية في إرساء حضارته ، الإقليمية بحد ذاتها تكمن بين طياتها مطالب قد تعجز الإنسانية عن استيفاء شروطها ، وهذه الشروط الحضارية على أي حال ، قد تؤدي في نهاية المطاف إلى إحدى الحالتين من حرب أو سلم . الإقليمية بدورها تكمن

بين ثناياها القدرات السياسية للإنسان في الخروج بأمان من العواصف الآتية من كل حدب وصوب . من هذه الانطلاقة الشبه حتمية تتداخل شباك الاقتصاد بالسياسة ، وهذه الوقائع الإقليمية لأي بقعة جغرافية على الكرة الأرضية هذه في نهاية القرن العشرين وفي عالم مليء بصواريخ فتاكة وعابرة للقارات ، فالإقليمية بأدوارها المتنوعة أمر لا يستهان به على الإطلاق . ومن هنا فيبدو منطقيا أن التلاحم الداخلي لأي نظام سياسي يحمل بين طياته احتمالات إنسانية أكثر منها فرضيات .

الوضع الإقليمي المسيس يحمل بين ثناياه أهدافا تحتوي بدورها أهدافا خاصة بها . المزيج من هذا ينجم بالفعل عنه أهداف محددة ولكن تحقيقها استراتيجية قصيرة المدى ، الإستراتيجية الإقليمية بكونها على هذه الحالة المسيسة للدولة والقاعدة الشعبية العريضة تتولد اختيارات عديدة مما يسهل للمرء أن يكون انتقائيا بلا حدود تذكر اختيارات كهذه تفسح مجالا عاما للمنطقة الإقليمية المعنية تهب بالفعل الخلية المسيسة فرصة لتراجع أولوياتها كرة أخرى .

من كل هذه الأمور الغوغائية فالدولة المسيسة الإقليمية لديها أمور إنسانية تختص في المعاني والطرق التي تؤدي إلى أطوار مختلفة ، فلكل المعضلات التي تواجهها الدولة المسيسة بقاعدتها الشعبية العريضة تتأثر بعوامل شتى[6].

ومهما كان الأمر بالنسبة للدولة الإقليمية التي ترزح تحت عدم الاستقرار السياسي فإن ذلك يفرض عليها وضعا استراتيجيا معينا ، هذا الوضع

---

[6] أنظر الملحق شكل (6)

الاستراتيجي الإقليمي له شروطه المحددة ، هو كذلك لأن الدول المسيسة الإقليمية بقاعدها الشعبية العريضة لها بذات الأوان استراتيجية خاصة بها أيضا ، والخصوصيات الاستراتيجية للدولة الإقليمية هذه تعكس بطريقة مباشرة أوضاعها ، وليس بالضرورة شرّوطها على القاعدة الشعبية العريضة . الموضوع بالتحديد هنا يرجع إلى الإنسان بمصيره ومن هنا هذا التحديد يعود بالمراقب إلى الذي ذكر سالفا عن أصولية الإنسان . لعل راعي الماشية في جبال" الأنديس" في أمريكا اللاتينية له سبب منطقي عن واقعه الإقليمي الذي يجب أن يوضع هنا في الاعتبار .

إن أهم شروط الوضع الإستراتيجي الإقليمي تنحصر في الاستمرار الدولي للدولة كخلية سياسية معينة . إلا أن الأهداف الإستراتيجية الإقليمية مرهونة كذلك بتحقيق آمال وتطلعات القاعدة الشعبية العريضة. ومن هنا جزئيا تختلط الأمور السياسية الثانوية مع أولويات الدولة التي يجب أن تكون لها اهتمامات خاصة . الانسلاخ القراري للدولة المسيسة له تأثير بدوره على كيفية التأقلم مع التذبذبات الاستراتيجية الإقليمية و مع هذا الواقع الإقليمي - الإستراتيجي ينشأ عدم الاستقرار السياسي و هذا بحد ذاته يخلق فجوات في اتخاذ القرارات الإستراتيجية ذاتها في المحصلة النهائية .

هذه الفجوات في القرارات الإستراتيجية الإقليمية عندما تصطدم مع انعدام تحقيق آمال القاعدة الشعبية العريضة فلا شيء مهما على الإطلاق هنا للأخيرة ، ويتبع كل هذا ذاك الذي يطلق عليه بالغوغائية السياسية حيث التسييس يؤدي دوره على أكمل وجه ، ومن هنا تختلط

الحسابات والتوقعات بشكل وأسلوب اضطراري إنساني غـــير محـــدد ، وبالتالي تتيه القاعدة الشعبية العريضة في تدويــــن أولوياتهــا التاريخيـــة . الإنسان الذي يغدو خلال التاريخ ليس بالسهولة بمكان أن يتم أي إنجــاز طالما تسيطر الغوغائية على الخلية الإنسانية السياسية المعنية .

وفي ذات الحال الآن لعل كل الذي تهتم به القاعدة الشعبية العريضة أن يدوم تلاحمها الإنساني مع قيادته ، هذا إن وجد هذا التلاحم من بعيد أو قريب ، ويتبع كل هذه الأمور الأبعاد المختلفـــــة لمصداقيـــة تحقيـــق الأهداف العملية للخلية السياسية الإقليمية المسيسة إلا أن الإنسان المسيس قد يكتشف ضالته السياسية في المحكات الإقليمية-الاســـــتراتيجية ، وفي معظم الأمور السياسية - الإقليمية قد تخدم الإنسان المسيس بالذات الموقع الاستراتيجي- الإقليمي خير من انتمائه للدولـــة ذاتهـــا . لعـــل الموقـــع الإستراتيجي المسيس في أمريكا اللاتينية أنجح دليل سياسي- إقليمي مـــن غيرها من المواقع الجغرافية الأخرى على الكرة الأرضية . الأمر هنا ليـــس عرقيا أو غيره فالأمر مصيري إنساني بحت ، القارات الإنسانية الأخـــرى ليس لديها هذه الخصوصية - السياسية ، إلا أنه لابد مـــن الوضـــع في الاعتبار أن قاطني هذه البقع الجغرافية حول الكـــرة الأرضيـــة يعتـــبرون أنفسهم بوضعهم الإقليمي - الإستراتيجي يعانون من فجـــوات عرقيـــة وغيرها ، ويعتبرون أنفسهم أفضل منهم .

من وضع كافة هذه الاعتبارات الإنسانية الإستراتيجية من منحـــى الإقليمية فإن هناك تـــلاحما إنسانيا يشار له بالبنــــان ، هـــذا التلاحـــم الإنساني الإقليمي-الإستراتيجي له وصلة تحمل بين ثناياه أحلاما سياســـية

بأهداف جمة ، وهذه الأهداف السياسية - الإقليمية لم تأت إلى الوجـــود اعتباطا ، فهذه الأحلام التلاحمية الإقليمية لها خطورقما القتالية وتنصب في مصير الإنسانية برمتها . هذه المسألة السياسية - الإستراتيجية الإقليميـــة ليست تكرار عبر التاريخ الإنساني المعاصر ، وإن كان الأمر التـــاريخي - الإقليمي كذلك فالعالم يبدو أنه في حاجة ماسة إلى العودة إلى مراجعـــة المعضلات الناجمة عن التسييس وبالذات كل الذي يمس حـــتى بصـــورة طفيفة المعضلات التي قمم القاعدة الشعبية العريضة ، ولكن حـــتى هـــذه الفكرة العابرة لا تزال حلما سياسيا .

إلا أن واقع الحال الإنساني الكائن في المحاور الإقليمية الإســتراتيجية لا يزال متشبثا بتلك الأحلام السياسية التي يدور محورها حـــول بقـــاء الإنسان المسيس ليس فقط في محيطه الإقليمي - الإســـتراتيجي المســـيس بـــل الأهم من كل هذا وذاك محيطه السياسي المباشر ، من هنـــا علـــى المراقب أن يضع في الاعتبار أن المصائر الإنســـانية الـــتي تطـــرأ علـــى الاستراتيجية الإقليمية تشمل الجميع بلا اســـتثناء ، هـــذه الشـــمولية لا ينفـــرد بها قرار حتمي من أي طرف يذكر و بهذا فإن الذي ســـيحدث هو خـــارج إطار اتخاذ أي قرارات مسيسة من الدول الإقليمية ، ومـــن هنا فدور القاعدة الشعبية المسيسة أمر إنساني تاريخيا ليـــس إلا . إلا أن الوضع الإقليمي-السياسي أو غيره ، لابد وأن يجابـــه ســـواء طوعـــا أو فرضـــا إستراتيجية أخرى مما يزيد الوضع الإقليمي هذا أكثر انسلاخا من الأوضاع الإنسانية الأخرى ، وهذه العوامل المتعددة تتراكم على بعضـــها بعضا مما يؤدي من جملة أمور إلى مراجعة الأولويات للدولة المسيســـة ،

ومن نتوءات هذه العوامل هو ذاك الذي يطلق عليه بالمصلحة الوطنية ، المصلحة الوطنية هي كلمات سياسية فضفاضة وخاوية من المصالح العامة ، وبالأخص ذاك الذي يمس الوجود الإنساني من خلال الخلية السياسية المسيسة .

هذه النظرة السياسية طغت على المسارات السياسية للعالم . فمنذ بداية القرن العشرين إلى نهايته فإن كل الحروب التي نشبت كانت في جوهرها تمس الأمور الوطنية من بعيد أو قريب ، هذه الأمور الوطنية كانت لها أولويات ليس فقط للدولة المسيسة بل بالتحديد القاعدة الشعبية العريضة ، ولأنها كذلك فالمسألة الوطنية هذه لا تخلق أزمات سياسية في الإطار الإقليمي الإستراتيجي فحسب بل تستدعي اتخاذ قرارات مصيرية نابعة من داخل النظام السياسي ذاته ، فالتسييس هنا له شمولية خاصة عندما يكون الموضوع مهما بالنسبة للوطن . هذه الشمولية المسيسة من الأطر الإقليمية – الإستراتيجية تظل لها فجوات إنسانية مسيسة يصعب من جرائها ردم كل ذاك الذي يحتاج إلى ردم على الأقل خلال فترة محددة تعد بعمر جيل واحد ، وخلال هذه الفترة التاريخية للإنسان المسيس فتبدو بوادر انكشاف تشبث الإنسان انبثاق خيط سياسي رفيع يفصم بين عدة جمل ، انتماءات مختلطة تنقسم بين الدولة المسيسة وذاك الذي بتطرفها أنه بعيد أو قريب ، فالانتماء الوطني للقاعدة الشعبية العريضة يعكس بحد ذاته المعاني الإنسانية للجماليات هذه .

الفصل الرابع

الوضع الدولي للدولة

المقدمة :

التدويل ليس مفهوما دوليا إنه مفهوم تشرئب له كافـــة تطلعـــات الإنسان منذ القدم على الكرة الأرضية . هذا المفهوم تخبط بعدة تعرجات دولية مما أدى إلى تحجيم الكرة الأرضية بمعضلاتها المتشعبة ، التدويـــــل هذا إن صح التعبير هنا خلق من جملة الأمور الإنسانية ، عدة نظريـــات مست الوضع الدولي هذا . تظل هذه المسألة لا تخـــرج مـــن الإطـــار النظري المبني على تحركات أو حتى السكون السياسي للدولة المعنية .

الدولة كتركيبة سياسية في العالم ، تطفو على الكرة الأرضية ضمن اعتبارات ونظم بشروطها المدونة ، احتوت منافذ سياسية تسهل تحركـها في الأطر الدولية ذاتها . من الأطر الإستراتيجية للمحور الإقليمي والـدولي فوضع الدولة يجابه تسييسا خاصا . كافة هذه المحاور المسيسة تترك للخلية السياسية المتمثلة بالدولة مع قاعدتها الشعبية العريضـة مجـالا و متسـعا للتحرك في الأوجه المتضاربة والمتعاونة منها . ومن هنا فالدولة ليس مـن الضرورة أن تملك قوة عسكرية عالمية ، ولكن هناك عوامـل إنسـانية أخرى لها أكثر وأجدى فعالية من غيرها[7].

[7] أنظر للملحق شكل (7)

التسيس الدولي للدولة

التسيس الدولي يأتي على الفرضيـــة العمليـــة وليـــس بالرغبـــات والشهوات التي يتفوه بها الدكتاتور ، فهذا الدكتاتور مهما كان أمره ينفذ بشبه حرية من المنافذ الدولية التي تتحكم بتحركاته الدوليـــــة ، وهـــذه التحركات الدولية وتطلعاتها من قبل الدكتاتور ، تساهم في تعضيد موقف الدكتاتور في المحافل الدولية . ولهذا التطلع الدولي المسيس عدة مسببات ، البعض منها جوهري أما البعض الآخر فهو عابر .

أولا ، لكل الذي يذكر عن الوضع السياسي الدولي فالعالم لا يزال تطغى عليه أنماط متعددة من عدم الاستقرار . الأوضاع الدولية هـــذه تـــؤدي منطقيا إلى غياب اتخاذ قرار متفق عليه دوليا . لعل كـــل هـــذا يـــؤدي بالمراقب للسياسة الدولية إلى أن يحدد منطقيا قوة الدول التي بها يتم تحديد وتلقيب الـــدول العالمية والتي فيها الدول العظمى . التغيب اللقبي هـــذا ترك العالم السياسي المراقب حتى من تحديد ذاك الذي يطلق عليه بـــالدول المسيسة دولا .

ثانيا ، كل الأمور الدولية التي تطفو على سطح الوجـــود الإنســـاني في العالم فالأطوار المختلفة والمتعددة لنشوب الحرب وتلك الحالة الإنســـانية من لا سلم ولا حرب إلى ذاك الذي يـــطلق عليه السلام ، إلا أن كـــل هذه الأطوار التاريخية تقاس بفترات زمنية محددة . وضـــع هـــذا الحـــد التاريخي لقيام ، أو حتى ابتداء الحرب ، لا يعني على الإطلاق أن الحـــرب آتية إلى المرحلة اللانهائية .

وعليه فهناك حروب لها مميزات السكون للحظات وتعود إلى واقـــع إنساني كرة أخرى ، ومن هنا نبعت عدة نظريات عن قيام الحـــــروب ، الكل كان له تحليل عنها . قادة الجيوش كتبوا وهللوا للعالم أن الانتصـــار في الحرب يعني نهاية الحروب ، وتبعتهم جميعا كل الخليـــات الإنســـانية المنتشرة حول العالم ، ومن ثم بدت السعادة الإنسانية على الجميع بـــأن الحرب قد انتهت فعلا في العالم .

مهما يكن أمر الحروب ، فالإنسان هو المتضرر الوحيـــد فيـــها . وعليه تبنى له كافة نظريات الحروب هذه ، وظلت دراســـات الحـــروب الإنسانية مدفونة في مكتبات العالم المنتشرة ولـــكن لا جديد طرأ هنـــا . إلا أن التقنية العالمية بتطورها وضعت حدا فاصلا في تقصير فترات نهايـــة الحروب . ولكن الإنسان ظل حائرا في إيجاد مسببات قيام الحـــروب ، وفي خضم كافة هذه الأمور الإنسانية فقد بعض الناس طعم الانتصــار ، ولكن كما أن الحرب بواقعها كذا يذكر عن الانتصار .

أن تكون دولة ما في المراتب العظمى عسكريا وأن تكـــون هـــذه الدولة عظيمة في التقدم واللامعروف وأن تكون هذه الدولة غنية بالمال أو غيره وهذا يعني أن لديها القوة الدولية في تغيير مجرى الإنســـانية . إلا أن هذه القوة تكـــون مرحلية من منحـــنى تاريخي وجـــيز . الطاقـــة هنـــا تنحصر في ذاك الواقع الإنساني أن هناك البعض في الدولة المسماة العظيمة يؤمنون بلا ذرة من شك ، أن دولتهم كذلك ! وتجرف معها هذه النظرة واقعا آخر ينحصر كذلك في غسيل الأدمغة . أن ينحرف العـــالم مـــع الوهم السياسي بأن هناك دولة عظمى لابد من الاحتذاء بها كمثال فـــهو

بحد ذاته وهم . الأوهام السياسية يتبعها بمنطقية خلق أكاذيب سياسية دولية . المعضلة السياسية هنا تكمن في المسألة العسكرية التي تمتلكها هذه المسماة بالدولة العظمى ، ولكن هذه القضية الدولية لها حدودها الخاصة بها . بمعنى أن حق ملكية السلاح والتلاعب به له حدود غير مدروسة لأن ملكية أنواع الأسلحة ليست محصورة في أي دولة في العالم . لذا فكل دعوات العالم المسيس إلى أنه لابد من تحديد هذه الأسلحة إنما لا يتعدى بكونه هباء منثورا .

ولكن هناك في كافة هذه الأمور المسيسة للدولة ، الفكر الذي باستطاعته أن ينقذ أو يهدم هذه الدولة المسيسة ، وهذا يشمل جميع الدول السياسية حول الكون ، وحتى الأمور الدولية هذه بالأعمدة المدونة في الرسم البياني هذا ، تشابكها دوليا يساهم بطريقة مباشرة للدولة المعنية أن يكون لها اختيار أحد منها أو بعض منها لكي تتبعوا الأمور الدولية الأخرى بطرق منطقية ، ولدى حدوث هذا فإنه يغدو جليا أن الأمور الدولية هذه تترك الدولة المعنية هنا ، فالأولويات السياسية قد تتحول إلى ثانوية أو أقلها . ومن هنا فالعالم المسيس أمامه اختيارات إنسانية لا حدود إنسانية لها على الإطلاق .

ومع كل هذه الأمور العسكرية التي تمتاز بها المسماة بالدولة العظمى ترتفع من هنا وهناك مطالبة بإحلال السلام على العالم ، ولكن في عالم العسكرية حتى نفحات السلم المتطايرة تعتبر وهما ، وهي إن كانت نفحا فهذا السلام يكون بحاجة إلى مراعاة وتغذية إنسانية ذات إطار مستقبلي موعود ، ولكن لابد هنا من الوضع في الاعتبار أن هناك

تفاوتا بين الحرب والسلام . فالأولى من السهولة القيام بها أما السلام فمن الصعوبة تحقيقه . السلام إن كان غاية فإنه يحمل بين ثناياه عدم تطورات قد تطيح بكافة المحاولات الإنسانية . فعندما تفشل الدبلوماسية مثلا فالحرب قد تكون عوضا عنها ، والسلام علاوة على هذا وذاك مفرده سياسية يرجو أو يتأمل الإنسان حدوثه ، وفي معظم الحالات السياسية الدولية فالسلام لا يحدث أو يتحقق عندما يكون الطرف الضحية في وضع وموقف لا ولن يتقبل العبودية تحت إطار غير موفق في تحقيقه .

السلام كما تقتضيه ظروفه الإنسانية ، له شروطه وبنوده التي من المفروض أن تكون عملية . هذه الشروط بمفرداها دونت بأوراق أطلق عليها بالقانون . القانون هذا له عدة أطوار وأبعاد تبدأ من الدولة المعنية كخلية سياسية ذات استقلال محدد . القانون المحلي المفروض أن تكون له حماية دولية ، فلا شيء يخرج من فراغ ، وبالأخص الدولة هنا. فالدولة مهما كان أمرها ، لا بد أن تخضع للقوانين الدولية ، ولكن هناك استثناء لكل هذه الفرضية السياسية ، الاستثناء الدولي هنا للدكتاتورية التي تطيح جانبا بكافة القيم الإنسانية إلى الحضيض .

على أن القانون المحلي والدولي ، هو قانون اتخذ مسلكا ليسهل مسار الإنسانية في بناء حضارها القادمة ، وعليه فالقوانين الدولية الملازمة للسلام تأتي بعد مداولتها ، التي تشمل الأخذ والرد حيث النتيجة الحتمية تساند بتعضيد صاحب الحق من الدول ، ومع أن هذه المدلولات القانونية الدولية تأخذ سنوات عديدة في سبيل الوصول إلى قرار نهائي

بشأنها إلا أن مالك الحق يظل قادرا على أن يصمد حتى النهاية ، فالاعتبار سياسي-تاريخي على كل هذا .

أن تكون دولة عظمى فإن ممارسة القوانين الدولية هو أمـــر ليـــس فقـــط مستحبا بل ضروري . ولكن يصاحب هذا حقيقـــة إنســـانية ألا وهي أن القانون الدولي يجب أن لا يكون في سبيل اضطـــهاد شـــعوب الدول الأخرى . هذه المسألة هي في المحصلة الأخيرة ، بقضيـــة تاريخيـــة فالدولة العظمى هذه ، المسماة كذلك ، لابد وأن تكون سباقة في اتبـــاع القوانين الدولية هـــذه بل الأهم هنا محاربة الدكتاتورية ، ليـــس فقـــط سياسيا ، بل بكل الوسائل التي بحوزتها .

إلا أن خليط الحرب بالقانون والنظام وتحركات الدولة العظمـــــى لابد وأن ينبت من كل هذا قـــرار يساهم فعلا في اتخاذ قرار نهائي قـــد يحزم الجميع أمره ومع تشعبات الوضع الدولي ، بإنسانيته فلا مجال هنـــا على الإطلاق إلا باستخدام السلاح . فالإنسان علـــى مجـــرى تاريخـــه يستخدم سلاحه لأن الدكتاتور لم ولن يتفهم لغة عملية أخـــرى . فـــإذا كان وضع الدولة العظمى كذلك فبمقدوره الوصول إلى هذه الخلاصـــة المصيرية ؟ !

القانون الدولي بالأخص ، لا ينفصل عن استخدام أو عدم استخدام أدوات الحرب ، ولكن الحروب تأتي بعدة أشكال وأنواع . من الحـــروب هذه هناك التي يطلق عليها بالحرب الباردة . لابد هنا مـــن الوضـــع في الاعتبار أن هذه الحرب من خلق الدول العظمى وليس غيرها . الحـــرب هذه المفروض بها أن تكون خاوية من استخدام الســـلاح بـــين الـــدول

العظمى . أي أنها بصريح العبارة هي حرب من حيث الأيديولوجية السياسية بين طرفي التناحر الفكري والعملي للدول العظمى ، ولكن هذه الحرب الباردة ظلت حربا صامته ، وكذا يذكر عن القوانين الدولية أيضا.

تغيب القانون الصامت عن الحرب الباردة ترك العالم بعدة معضلات . الاتفاق بين الدول العظمى انحصر في أن كافة الحروب في العالم إنما يجب أن لا تتعدى كونها جانبية . إلا أن هذا الوضع الدولي أتاح فرصة ذهبية – قاتلة للدكتاتوريين أن يؤدوا دورهم في إزهاق أرواح الأبرياء في العالم المدمن ، ومن أحد أعمدة التلاعب الدكتاتوري في مصير البشرية هو ذاك الذي ينحصر في الواقع العالمي الذي يذهب إلى أنه مع وجود القانون الدولي الصامت فإن هناك حرية دكتاتورية في الاختيار - إعلاميا – على أي باكورة من الأنظمة السياسية الموجودة حول الكون . لعل الخطر من هذه الدكتاتورية أن لها استمرارية الإطالة في الحكم . وهؤلاء الحثالة من الحكام الدمويين يجدون فرصة لا تعوض في البرهان للعالم أجمع بأن القانون الدولي صامت وهو كذلك لأنه حتى الدولة العظمى صامتة كذلك .

القضايا الدولية هذه استدعت تكوين نظريات دولية مستحدثة تتأقلم مع الأوضاع الدولية المسيسة الجديدة . هذه فرضت على الجميع أن يتقبلوا على مضض هذه الفرضيات الدولية أو الدول الأخرى التي لم يكن لهم أي خيار آخر حولها، إلا أن هذه النظريات عن الدولنة لم تخرج من فراغ . فهناك حاضر دولي سياسي لم يكن من السهولة تجاهله . وإن

كان الوضع السياسي - الإستراتيجي كذلك ، فكافة هذه النظريات عـــن الدولنة كانت عرضة للتشكيك سواء عمليا أو نظريـــا . لعـــل معضلـــة التشكيك حول نظريات الدولنة ارتمى بلا رحمة إنسانية في أن الأخطـــاء التي تنجم من المواجهة العملية ، فممارسة هذه الأطنان مـــن الانحطـــاط الإنساني ، من حروب وغيرها ، لا تكفي من قريب أو بعيد الاســـتعانة بهذه النظريات التي تكشف عن الدولنة . بمعنى هنا أن الأسس السياســـية التي تنبت عليها هذه النظريات كانت خاطئة في جملتها .

ولكن مع كل أخطائها الدولية فهذه النظريات كـــان المفـــروض ، بل يجب بها أن تستقر مهما كان أمر الإنسان المسيس . التسيس هذا كان له انعكاسات دولية من منحنى الأممية . وفي كل هذه الأمـــور الدوليـــة تراكمت وتشعبت هذه النظريات حتى وصلت إلى مرحلـــة إنســـانية أضحى من الصعوبة بمكان تفهمها أو حتى الاقتناع بها . ألا أنـــه قـــد يكون مؤكدا هنا أنه كانت هناك دول متعددة على الخريطة السياســـية ولكن الدولنة كانت غير حقيقة .

هذه النظريات الدولية تنـــاسى تعمدا واضعوها الأدوار الرئيســـية التي تؤديها شعوب هذه الدول . على المرء هنا أن يضـــع في الاعتبـــار سياسيا أن القاعـــدة الشعبية العريضة هي التي تحرك قـــرارات الدولـــة المسيسة نهائيا . خلال تاريخ الإنسانية جمعاء القاعدة المسيسة الشعبية كان لها إما دور إيجابي أو سلبي ، و لم يتغير هذا في القرن العشـــرين المـــميز بعصر الصواريخ . ألا أن الورطة العقلية لهؤلاء المنظرين عـــن السياســـة الدولية أولوا اهتمامهم الجم إلى الصواريخ وتناسوا الشعوب ، وفوق هذا

وذاك هناك أمر إنساني لابد من وضعه في الاعتبار أيضا أن هؤلاء المنظرين اعتبروا هذه الشعوب أرقاما فقط في سجل الدولة . مع كل الذي ذكر عن التنظيرات السياسية للدولنة تظل المسألة الجوهرية هنا أن لها إيجابيات حيث أن البعض من هذه الكتابات ساهم بطريقة وأسلوب فعال بالمشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات السياسية النهائية وبالأخص تلك التي تتطرق ، ولو حتى هامشيا إلى الأمور التي تختص بالدولنة . إلا أن المراقب هنا يجب أن يضع بالحسبان أن هذه الكتابات قد تكون خاطئة من منحنى خاتمة الموضوع المتداول دوليا ، فراغ فكري كهذا يترتب على المراقب أن يعاود مداولته عن الدولنة من جديد .

من الناحية الأخرى قد يكون البعض الآخر من هذه الدراسات ألزم المراقب بأن يتطرق إلى أمور جوهرية كانت غائبة عن الذهن هنا . التركيز عليها من جديد له منافع عدة ، و من أهمها إعادة تطوير استراتيجية دولية مستحدثة . وبالتالي هذه الكتابات قد تتزامن مع مواكبة تطور العصر بذاته . وعليه فهذه الدراسات قد تكون لها عدة منافع مستقبلية ، ومن هذه الأمور المستقبلية قد تنحصر في الطرق والأساليب المتعددة التي تساهم في خروج الدولة المعنية من الأزمات الدولية المتراكمة على بعضها بعضا .

هناك أمر ذاتي يخص أصحاب القلم الكُتاب المبحرين في السياسية الدولية بتشعباها المتعددة ، وهي التي هب صاحب الشأن هنا اكتفاء ذاتيا من منحنى الفكر . لعل المعضلة الفكرية الدولية هنا تكمن في أن الوضع الدولي هذا ترك حتى الملم بالأوضاع الدولية تائها في تحديد مرابط

المعضلة الدولية ، وليس فقط صاحب الشأن الفكري ولكن من جهـــة أخرى ، حتى تحليل النتائج لن يصيب المرمى المرجو هنا ، وهذه المســألة الفكرية الدولية قد تؤدي إلى خيبة لآمال القاعدة الشـــعبية العريضــة . ولدى حدوث هذا فكريا فان كانت اللائمة تقع على أحد منهما فإنها لن تقع على أصحاب القرارات السياسية النهائية ، ولن تقع علـــى مـــالكي الفكر ولكن بالتحديد على الظروف السياسية العالمية التي لا تخلـــو مـــن تواكب المعضلات الإنسانية على المثقفين والأوضاع الدولية بعضها فـوق بعض .

عـــدم الاستقرار من الأطراف الإنسانية يـــأتي نتيجـــة تذبـــذب الأطراف هذه في الدول . انفصام المثقفين عن القـــرارات السياســية و القاعدة الفكرية مرجعه بالأساس المعضلات الدولية التي تطرأ على محيــط الدولنة وتترك هؤلاء المثقفين تائهين فكريا . التيه الفكري هذا من المؤكـد أن هناك قرارات سياسية سوف تتخذ بشأنه ومرجعـــها التـأقلم مــع الأوضاع الدولية . ولكن حتى هذه الدولنة غير مستقرة بحد ذاتها .

من كل الأوضاع الدولية غير المستقرة هذه تنبعث نظريات متعـددة عن الدولنة . علـــى المرء هنا أن يضع في الاعتبار أن الكرة الأرضيـــة لم تعد مسطحة بل صغر حجمها القياسي لعدة عوامل إنســـانية ، الكـــرة البيضاوية هذه التي أطلق عليها كوكب الأرض لصغرها لم تكن بحاجـــة ماسة إلى خلق نظريات أطلق عليها بالدولية أو ما شابهها . المعضلة هنـــا تكمن في أنه مادام الإنسان بعقله قد خلق هذه النظريات فـــهي عرضـــة للتغيير أو الإلغاء . ولكن كان هناك الإصرار الإنساني بأن الدولية تمتـــاز

بخصائص فكرية إنسانية تستوجب طرح نظريات دولية عسى و لعل الإنسان السباق وراء وجوده على الكرة الأرضية البيضاوية أن يكتشف ذاته هذا الضجيج الدولي ، ولكنه في حقيقة الأمر كان موضوعا إنسانيا ميؤوسا منه .

الوضع الدولي هذا للكرة الأرضية البيضاوية حتم على العالم أن يقسم ليس جغرافيا وغيره من منطلق القوة . هذه الفرضية من منطلق القوة فرض على العالم كذلك ، أن المجتمعات المكونة لدول العالم يجب أن ترضخ حسبما تفرضه إنتاجية الدول المكونة للعالم . إلا أن هذه الفرضية للتوزيع السياسي للعالم دونت عاملا آخر الذي نجم عنه التنافس الحضاري بين دول العالم هذا ، ومن هذه العوامل في بناء الدول تشعبت دول أخرى حتى وصلت الكرة البيضاوية إلى مرحلة التخمة الدولية التي من جرائها أضحى من الصعوبة بمكان حل المعضلات التي تندلع في الكرة الأرضية بلا سابق إنذار .

من كل هذه التقسيمات للكرة الأرضية البيضاوية بزغت إلى الوجود السياسي الدولي تعريفات مختلفة كان أساسها أنماط القوة ، ولكن في هذه المرحلة التاريخية ارتأى البعض تقسيم الكرة الأرضية معتمدين على القوة العسكرية الدولية ، وتبع هذا الأمور الإنسانية التي شملت على سبيل المثال هنا الاقتصاد والسياسة والأمور الإنسانية الأخرى [8].

---

[8] أنظر الملحق شكل (8)

في النصف الأول من القرن العشرين ظلت الكرة الأرضية تسيطر عليها القوى العظمى . خلال الحقبة التاريخية منذ وجود البشرية فالدولة كانت معروفة ومدركة لذاك الذي أطلق عليه ميزان القوى الدولي . إلا أن معرفة موقع البشرية على الخارطة العالمية ليس من ممارسة القوة . الدولنة هذه لم تكن فقط مبسطة التحليل بل إن هذا الأمر سهل كافة الأمور الاستغلالية في جميع أقطار العالم السياسي .

وحتى الاستغلال الدولي من قبل هذه الدول . إلا أن التنافس بين هذه الدول العظمى كان تنافسا متفقا عليه مسبقا ، بمعنى أن منافذ القوة في العالم كانت لها حدود حمراء لكل من هذه الدول العظمى ، وهذه الحدود بخطوطها الحمراء ، هي التي كانت تهب هذه الدول العظمى أو المتعارف عليها آنذاك بهذا المسمى قوة مطلقة في استغلال كافة موارد ومصادر المناطق الجغرافية من الكرة الأرضية البيضاوية ، ومن ثم خريطة العالم بدت أكثر وضوحا حتى عام 1939 كالتالي :

1- بريطانيا (المملكة المتحدة) : الشرق الأوسط ومعظم القارة الآسيوية والقارة الأفريقية .
2- بلجيكا .
3- الدانمارك .
4- فرنسا : الشرق الأوسط وأفريقيا .
5- هولندا .
6- إيطاليا : الشرق الأوسط وشمال أفريقيا[9] .

[9] (1-6) معظم المهاجرين من هذه الدول ذهبوا للولايات المتحدة الأمريكية.

7- البرتغال : أمريكا الجنوبية .

8- اليابان : الصين .

إذا جمع المراقب قوة النفوذ لهذه الدول فإنـــه يتطـــرق إلى ملكيـــة الكـــرة الأرضية كلها . أما السيطرة العسكرية لهذه الدول على المنـــاطق الجغرافية للكرة الأرضية . فكانت تأتي عن طريقين : إما البحار أو الطرق البرية . العسكرة هذه خلقت أوهام بطولية لمعظم الدول العالمية للكـــــرة الأرضية. إلا أن الإنسان له الحق في ممارسة أحلامه الخيالية . من هـــؤلاء بزغ على تاريخ الاستعمار المطلق عليه بغـــوردن خرطـــوم "GORDEN of KHARTOM" الذي خلف وراءه بطولة استعمارية وليس بغير هذا .

من كل هذا فهذه الدول العظمى أو ما شابهها لم تترك كافة المناطق الجغرافية في الكرة الأرضية بسلام لأن المسألة آنيا انحصـــرت في مســـألة حضارية بحتة ، فبعد ترسيخ واقع الاستغلال بأوجهه المختلفة أتـــى دور الاستغلال الحضاري . ولكن هذا الاستغلال الحضاري جابه معارضة أشد ضررا من الوجود العسكري الفعلي لهذه الدول العظمى في هذه المنـــاطق الجغرافية من العالم .

القضية الحضارية هذه تواكبت يدا بيد مع الأمور الإنسانية الأخرى من الاستغلال الإنساني . إلا أن هذا النمط من الاستغلال لم يأت مـــــن فراغ . هذا الاستغلال للإنسان غلف بمفردة واحدة أطلق علـــيها التقـــدم . هذه المفردة الحضارية الوهمية خلقت أو نجم عنها فجوة تاريخية كان من الصعوبة بمكان ترميمها ، فالمسألة التاريخية الحضاريـــة هـــذه أصـــابت جوهـــر الوجـــود الإنســـاني برمته .

ولكن هذه القوة العظمى كانت لها قدرات تؤهلها إلى أن تستغل من هذه المناطق ما تشاء سواء اندلاع الحروب بأنواعها أو تفشي المجاعات أو القتل الجماعي الخ ، ومع هذا الانقسام العرقي أو غيره لم يعد بالإمكان لهذه المناطق الإنسانية على الكرة الأرضية غير الرضوخ لرغبات الدول العظمى هذه . إلا أن الرضوخ كسرة أخرى لهذه الموجات المفتعلة من قبل الدول العظمى قبول مقارنة العقل بالعقل . وفي هذا الحفل بالتأكيد تطلب من القياديين في الدول المستغلة أن يستخدموا أسلوبا سياسيا وحضاريا من الصعوبة تجاهله تحت أي من الظروف الإنسانية . لذا فالحكومة السياسية لغاندي "GANDI" من الهند أضحت بهذا حضارية . لعل "غاندي" كان هذا هدفه الرئيسي بحركته السياسية التي أطلق عليها بالسلمية تحت جميع ظروف الاستغلال الآتي .

الوضع الدولي بوجود الدول العظمى ، انحصر بينهم من كافة الأبعاد الإنسانية . هذا الوضع الدولي للقوى العظمى خلق وهي تحاول قصارى جهدها إلى التطرق إلى محاولة دفع وترسيخ وجودها كدول عظمى على الكرة الأرضية وأن تدخل بكامل قدراتها الدولية في حقول وأبعاد التنافس الدولي . التنافس الدولي هذا ليس بالضرورة أن يكون صراعا عمليا من حيث الطريقة والأسلوب، حيث اعتمد على أسلوب حرب تندلع في دول أخرى " WARS BY PROXY " . الحروب هذه كانت من عدة أبعاد أولا ، هناك اتفاق هادئ بين الدول العظمى على هذه أن الحروب الجانبية يجب ألا تضع دول القوى العظمى في موقف

سياسي دولي يصعب التحرك بعدئذ دوليا . ثانيا ، الحروب الجانبية هـــذه تعد مرتعا لتجارة السلاح النابع أصلا من الدول العظمى .

ثالثا، هناك بعد سياسي لكل المآسي الإنسانية هنا حيث الــــدول العظمى هنا هي التي تفرض شروطها الداخلية والخارجية . من كل هـــذه الأمور الإنسانية فـــإن قضية نهائية واحدة هي التي ستظل عالقــــة عــبر التاريخ والمتمثلة بالحضارة الإنسانية ذاتها .

على أن هناك كما يبدو قفزة استراتيجية دوليـــة بحيــث الدولـــة العظمى المعنية تخبو في تاريخ الإنسانية المعاصر . هذه القفزة الاستراتيجية الدولية تأخذ موقفا سياسيا ـ استراتيجيا قد يكون بعيدا بأعين البعـــض ، ومن الاستحالة تصوره . هذه الطفرة الدولية الاستراتيجية لها شـــروطها وقيودها ، فالمسألة الدولية هذه قد ترفع عواطف الجماهير المتعددة حـــول العالم ، ولكن مهما كان الأمر هنا ، فجوهر الموضوع يظل كما هو . إلا أنه كيف تتصرف الدولة عالميا ؟ فهذا أمــر آخــــر كليـــا ، وهـــذا يشمل كذلك الوضع الداخلي بحد ذاته . جمال عبد الناصر من مصـــر ، مهما يذكر عنه ، فقد أدى هذا الدور الدولي السياســـي والاقتصـــادي والعسكري هذا [10]. التراجع العسكري لإحدى الــــدول العظمـــى أو أكثرها قد تتداخل فيه عدة أمور أخرى تفوق قـــدرات المجـــني عليـــه . العسكرية هنا ليست بسياسته في المحافل الدولية . فــــهذه العســـكرية إذا تزامنت مع التغيير العالمي الذي يطرأ على العالم فهي خير دليل علـــى أن الخلية السياسية المعنية أي الدولة ، قد تكون غير قادرة لضعف إمكاناتهـــا

[10] أنظر الملحق شكل (9 / أ – ب – ج)

الداخلية والخارجية على أن تتأقلم مع الأوضاع الدولية الراهنة . هذه المسألة الدولية بالذات مردها السنوات أو العقود المضنية من الإنتاج الفكري والعملي للإنسان ، إلا أن الطور الحالي المميز للعالم بعد منتصف القرن العشرين كان حافلا بذاك النمط الذي أطلق عليه " بلعبة الأمم" . هذه التي عرفت "بلعبة" ظلت كما هي دوليا لتعقيد الدولنة هذه . "لعبة الأمم" هذه امتزجت مع كافة التطلعات الإنسانية المستقبلية . ولكن في الآن ذاته بدا للمراقب أن العالم لا يزال مقسما على الأقل فكريا . هذه القضية بالذات تركت كافة شعوب العالم في عدة مآزق إنسانية-تاريخية . وفي الآن ذاته طغت النظريات الفكرية السياسية على العالم المسيس هذا ، بمعنى أن الدولنة لم تكن منحصرة في آمال وتطلعات دولة واحدة سواء من الدول العظمى أو غيرها . بمعنى مع أن البعض من هذه الدول العظمى اكتشفوا أن العالم مع انه مقسم نظريا - سياسيا إلا أنه كان هناك متسع كبير للنظريات السياسية الأخرى ، أن تكون لها منافذ سياسية- دولية أخرى .

الدولنة الشعبية هذه مع وجود النظريات الفكرية في العالم ازدادت تعقيدا مع الأمور الإستراتيجية الدولية للقوى العظمى ، هنا على المراقب أن يضع حدا فاصلا بين الفروقات الشعبية الدولية عندما يتراكم مزج التطلعات المستقبلية مع حمل السلاح الشامل ، فهذه لعبة الأمم وهي لعبة بين أنظمة سياسية حاكمة وليست أكثر أو أقل ، وعليه لعبة الأمم هذه لم ولن تتطرق لجوهر اللعبة الدولية هنا لأن هناك مسببات تمس الوجود الشعبي هنا ، ومع غياب هذا الوجود تمسح الدولة المعنية برمتها

من الخريطة العالمية . وجود شعبي كهذا يفرض في معظم الحالات عليه بالتسيس ، ومن هنا فلعبة الأمم بصريح العبارة لا تتعدى كونها لعبة المصير الشعبي .

إلا أن هناك أمرا عن الدولنة الدولية من المنحنى الشعبي وهو الذي ينحصر في مصير الدولة . من هنا فالدولة تنجرف مع تلك النظرية التي يطلق عليها " لعبة الأمم" . وعليه تختلط الأمور على بعضها البعض . لعل الأهم في كل هذا ، هذه النظرية يصبها خلل لأن القاعدة الفكرية السياسة العالمية بتسييسها لها تكوينات مختلفة التعددية الدولية تفتقد اتخاذ قرار دولي متفق عليه من الأساس . علاوة على هذا وذاك يبدو أن الدولة التي فرض عليها " لعبة الأمم" تقع في حيرة دولية التمييز بين الخط التاريخي الرفيع الذي يفصل بين الأوضاع الناجمة عن اندلاع الحروب ، أو ذاك الذي يطلق عليه بالسلام .

بالإضافة إلى هذا ، فنظرية لعبة الأمم هذه يبدو أن شعلتها السياسية الدولية معروفة ومدركة للعالم بأممه وكذا يذكر عن خاتمتها ، ولكن الدول هنا ليس بإمكانها أن تقرر المستفيد من كل هذا البؤس الإنساني المخيم على العالم ، فهذه النظرية المطلق عليها " لعبة الأمم" لها ملحقات بحيث يكون من الصعوبة بمكان هنا التمييز بين فطرة النظرية الدولية هذه وبين تلك التي يطلق عليها بالملحقات . المعضلة هنا قد تكمن في عدم القدرة على تحديد من المتضرر دوليا أو من منطلق الدولة ذاتها من كل الممارسات التي يخبو بها الإنسان ، بالأخص عندما يفقد إنسانيته .

نظرية " لعبة الأمم" لها نواقص أخرى والتي منها ذاك الذي يحـــوم حول التساؤل الذي يطرح ذاته بلا مقدمات تـــذكر وهـــو حيـــث أن الدولة المعنية إذا فرض عليها أن تنخرط في " لعبة الأمم" ، فإذا كيـــف الخروج من مآزقها المتراكمة ؟! تساؤل كـــهذا فبالتجربـــة وأطـــــرافه اللاحقة قد يتوه المراقب المسؤول هنا بدوره في دوامة لعبة الأمم ، ومـهما يكن من الأمر الدولي هنا ، فانه يكون من الأفضل التركيز على ملحقات هذه النظريات الدولية بخصوص لعبة الأمم .

حتى الفرضية الدولية هذه قد لا تكون الحل الناجح لكل الذي يحوم حول مصداقيته أو عدمها ، لهذه النظرية عن لعبة الأمم . إلا أن هذا الحل إذا كان هناك حل يترك الدولة المعنية هنا تأخذ الأمور بأولوياتها ، فليـس هناك خيار آخر يكون مجديا ، ومهما يكن من أمر الأولويات هذه فهناك ملحقات والتي بدورها لها ملحقات بذاتها ، فالأمور الدولية ليست بهـــذه السهولة التي قـــد يتصورهـــا البعض . لعل الأمـــر الإنساني - الـــدولي هنا يتمحور حول عدم معرفة أو حتى إدراكه معاني وجوده بعيدا أو قريبا من دوامة التاريخ الإنساني هذا . هذه الدوامة الدوليـــة الـــتي تحيـــط بوجودية الإنسان ينتج منها وعنها خلاصات إنسانية نبتت منها دوامـــات مـــن الحيرة الإنسانية الدولية . دوامة نظرية لعبة الأمم هذه تحتوي مدارك التسيس العالمية كافة [11].

في كافة هذه المحافل الدولية هناك أمران يخلقان بونا شاســعا بـــين الواقع والخيالات السياسية الإنسانية . الأولى لا تتعدى كونهـــا أحلامـــا

---

[11] أنظر للملحق شكل (10)

بمنـــزلة أحلام اليقظة ، أما الثانية فهو تعريف صريح لتحقيق هذه الأحلام السياسية ، فالدولة هنا تشكل عدة خلايا سياسية وليس من الضـــرورة أن تكون متماسكة ، ولكن مهما يكن أمر الإنسان الخالد فالدولة تتعـــدى كونها رمزا غير تقليدي ، فالدولة هنا بمثابة التـــاريخ بحضارتـــه القديمـــة والمستقبلية . أمر الدولة هنا ليس وهما سياسيا لأن هناك أمورا إنســـانية تتعدى الإنسان ذاته[12] . مفهوم الدولة المجردة طرأت عليه تغيرات جوهرية خلال القرن العشرين هذا . لعل أهم تغيير أصـــاب هذا المفـــهوم عـــن الدولة بأنها خرجت من أطرها المتزمتة . بمعنى الفلسفة لاحتواء الأبعـــاد المتعددة لها إلى حيز الوجود . من هنا فنظرية " أفلاطون" عـــن الدولـــة كانت نظرية مجردة بحتة . فأفلاطون كان جم اهتمامه ينصب في الأمـــور الفلسفية وليس غير هذا . هذه النظرية الأفلاطونية عن الدولة المجـــــردة هي نظرية تدرس في المحافل التعليمية فقط ، وعليه تفتقـــد إلى المصداقيـــة الإنسانية العملية. الأطوار السياسية العالمية هي التي فرضت على الإنســـان مواكبة هذه التغيرات السياسية . من نافل القول التذكير هنـــا بـــاندلاع حروب ومجاعات ...الخ ، فرضت على الإنسان أن يتأقلم مع الأوضـــاع الإنسانية المتغيرة المتشابكة في الآن ذاته . المسيرة السياسية للإنسان تتطلب خلق مفاهيم سياسية تعكس واقعه الآني ، ومع هذا التطـــور التـــاريخي الإنساني ظهرت تعريفات جديدة كالقوى العظمى والمتوسطة والصغـــيرة وفقدت الدولة مفهومها الأفلاطوني المجرد .

---

[12] أنظر للملحق شكل (11)

مع التعقيدات الإنسانية الدولية كل شيء تغير ما عدا أمرا واحدا. هذا الأمر الإنساني انصب بمزيج من طرفي الانتماء الإنساني المتمثل بالدولة من كيان سياسي إلى بناء حضارة مميزة . إلا أن هذا الأمر عرف بالمصلحة العامة للدولة . على المراقب هنا أن يضع حدا إنسانيا بين الوطنية والدولة ، فالأمران ليسا متطابقين . خلال التطورات السياسية في القرن العشرين جرت العادة أن يلقي الآخرون اللوم على الاستعمار وغيره. ولكن الأمر الإنساني ليس كذلك . هناك عدة أمثلة دولية باستطاعتها أن تبرهن رأينا . لعل المطالب السياسية التي ينادي بها ثوار شرق تيمور" TIMUR " تفي بالغرض هنا . الاستعمار البرتغالي ترك عدة جزر في البحار ، ومجموعة من هذه الجزر خلقت دولة أطلق عليها "إندونيسيا" ، وهذه الدولة الإندونيسية استعمرت بدورها الجزيرة التي يدافع ثوارها عن حقوقهم الإنسانية السياسية . لأكثر من ثلاثة عقود بعد منتصف القرن العشرين وهذا الشعب يحاول قصارى جهده السلاحية بأن يطالب بحقوقه الوطنية ويؤسس له دولة . في خضم كل هذا الهم هؤلاء الثوار بخزعبلات سياسية كالمخربين والشيوعيين..الخ ، التي لا طائل من ورائها .

يبدو أن تأسيس الدولة منذ بداية القرن العشرين اصطدمت بعدة أمور سياسية قهرية هددت وجودها . البعض اهتم بالأمور السياسية التي كانت المحرك الرئيسي لانهيار الدولة ، والبعض الآخر اهتم بالأمور الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن ظلت هناك قضيتان أساسيتان اعتبرهما البعض من مخلفات الدولة ، هاتان القضيتان انحصرتا في ذوبان الحضارة

الإنسانية في غياهب التاريخ الإنساني ومواقع المواطن بعلاقته التاريخية باستمرار حضارته المستقبلية . إلا أن هذه المسألة ليست بالسهولة التي يتصورها المرء ، وفي الآن ذاته من نافل القول هنا أن مفاهيم المواطنة والدولة يتماشيان مع الحضارة التاريخية للإنسان . المصالح الوطنية تختلف باختلاف المصائر التي قد تؤدي إما إلى تحقق الآمال أو الإخفاق في الوصول إلى أولويات سلالم النجاح المرتقب ، وهذه المصالح الوطنية تعكس صورها على تألق الوطن أو حتى انحطاطه ، ولكن كل هذا مجرد عموميات ، فالإنسان يظل كما هو ، فهذا الإنسان عملي وهو الذي باستطاعته أن يخلق العجائب بنظر الآخرين ، فالإنسان يكون مرتبطا بالدولة وكذا يذكر عن الدولة . وفي الآن ذاته فمسألة المواطنة ليست بهذه السهولة حيث يكتنفها الإبهام ، فعندما تكون دولة من الدول العظمى ، فالمصالح الوطنية تختلف لتشعبها ، فالدولة العظمى هذه عليها أن ترهن مصيرها بأكثر من مائة دولة أخرى ، وهناك في الآن ذاته مؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخرى التي يجب وضعها في الاعتبار هنا . الأمور هذه ليست ذاتها في الدول الأخرى . وهناك أمثلة عديدة دولية لبرهان هذا . لذا فتشابك المصالح الوطنية الدولية لا تعترف بالنظريات السياسية الدولية ، فعلى سبيل المثال ، لا فارق جذريا يذكر عن دولة شيوعية أو رأسمالية أو بينهما أو حتى الشعوب التي بلا دولة لأن الكل هنا سواسية من منحنى وطني . قد تكون الدولنة هنا حلا ناجحا . وتتبع كل هذه الأمور السياسية المصيرية أمور إنسانية أخرى ، كحماية المواطنة وغيرها من أنماط الانتماءات الوطنية ،

ولكن هناك وطنية دولية وهي ليست وطنية مرتكزة علـــى النظريـــات السياسية الأخرى المتفق عليها. ولكنها وطنية إنسانية دولية ، وهـــي في الآن ذاته ، وطنية دولية لا يعترف بها كل المتخاذلين عن مسيرة التـــاريخ الإنساني الشامل . الألقاب والمراتب لا تعني لهؤلاء المنتمـــين لإنســانية الدولنة . الطاقة الإنسانية هنا هي أن الدول العظمى المعنية هنا أو غيرهـــا لم ولن تتفهم هذه الأمور الإنسانية . المهم والأهم هنا أن الرسالة التاريخية سوف تصل تحت كافة الظروف التاريخية الإنسانية . علاوة علـــى هـــذا وذاك فالمصلحة الوطنية للدولنة هذه تصل إلى القـــاصي والـــداني علـــى الكـــرة الأرضية البيضاوية [13].

هؤلاء أطلق عليهم دوليا بالثوار . إلا أن موقعهم الجغرافي للكـــرة الأرضية. على المرء أن يضع في الاعتبار على الأقل ثلاثة أمور دولية هنا . أولا، واحد منهم فقط " خوشه منه" من فيتنام كان قائدا امتاز بـــالثورة المسلحة . " خوشه منه" لم يكن فيلسوفا سياسيا و لم يكن من أتباع فرض آرائه السياسية الفلسفية على الشعب ، فهذا الأمر ترك سياسيا للحـــزب الشيوعي الفيتنامي ، ولكن القرارات المصيرية الفيتنامية والدولية كـــانت بيده . لذا فهو كان بعيدا عن الأضواء العالمية. أما " بيكو" فقـــد كـــان ثوريا، أما لماذا يوصف بهذه الصفة فلأن جم اهتمامه كان ينصب علـــى استقلال وطنه من سجون الاستعمار الأبيض . كان خلوقا كبقية الثوار ، وفي الآن ذاته كان بكامل قواه العقلية بأن حقوق وطنه قـــد اغتصبـــت وعليه أن يؤدي واجبه الوطني ، إصراره الثوري أدى بـــه إلى أن تغتالـــه

[13] أنظر الملحق شكل (12 / أ ـ ب)

أيادي الاستعمار الأبيض ، وأما "كارلوس" فقد كان ثوريا فرضت عليه إنسانية الإنسان من منحنى دولي . هو كذلك لأن القيم الدولية التي وضحت برأيه الشخصي كانت موسومة بالزيف ، وعليه فقد كان راسخ الاعتقاد بأن مهمته كانت دولية . هذه المهمة الثورية-الدولية لكارلوس بسطت عليه إنجازاته الثورية ، فهناك الملايين من البشر الذين تنهش لحومهم نيئة وطرية حول العالم بأسره ، ولكنه اختلف عن"خوشه منه - وبيكو" أنه أخذ حقوقه إلى مقر أولئك الذين يضطهدون تعسفا الآخرين من البشرية ، ونجح .

ثانيا ، هناك أمر دولي طالما تجاهله معظم الناس وهو الذي ينصب في مسيرة تاريخ الإنسانية . هذه المسيرة التاريخية-الإنسانية هذه مرابعها الإنسانية سلاسل مكملة لبعضها الآخر . بمعنى أنها لم ولن تنقطع تحت أي من الظروف ، فخوشه منه هزم الرأسمالية العالمية العسكرية بأضرار لحقت بالتاريخ و بيكو كان بمثابة شعلة الثورة العالمية أما كارلوس فأخذه غضبه الثوري عالميا ليستهزئ بأولئك المهرجين السياسيين الدوليين، فكارلوس كان ولا يزال طبيعيا ثوريا في المحافل الدولية ، فالقضية بالنسبة له تعدت كافة الخطوط الحمراء على الخريطة .

ثالثا، الثلاثة معا يجمعهم معا خليط من الاستراتيجية - الاقتصادية الدولية. هذا المنحنى الدولي كانت له أسحاره التاريخية . الثلاثة من الثوار الدوليين كانوا في كامل الوعي السياسي عالميا بأنهم عابرون في التاريخ الإنساني الثوري العالمي . حيث يبدو أن الإنسان لا يفقه معاني السلم إلا من خلال السلاح ، فالمعاني المتراكمة على بعضها البعض من

نواحي متعددة للدولنة الاستراتيجية-الاقتصادية أدت إلى تكوير الكـــرة الأرضية البيضاوية . بمعنى أن التاريخ الإنساني - الــدولي على بـــوادر فراغ سياسي دولي لا يملأه إلا أولئك من الصفائح البشرية الـــتي تكـــون العالم الثوري الذي كان ولا يزال العالم الحقيقي للبشرية ، ومـــن هنـــا فكارلوس كان محقا عندما ذكر أن اعتقاله بالسلاح في السودان من قبـــل الفرنسيين كان يخالف القانون . على أي حال ، فهو قد ألقـــى بدلـــوه الإنساني-الثوري مدركا أن التاريخ الإنساني الاستراتيجي- الاقتصـــادي قد تقلص [14].

كافة هذه الأمور الدولية للدولنة تحصر جوهر الموضوع هنا بمفـهوم الدولة . هذا من ناحية ومن وجهة نظر أخرى هنـــاك مصـــالح الدولـــة المتشعبة . تشعبات هذه الأمور غير تلك التي ترتوي بمصالح الدولة العليا . هذان البعدان يخلقان عوائق دولية من نواحـــي الاســـتراتيجية ودولنـــة الاقتصاد المرتبطين ارتباطا وثيقا بالسياسية الدولية ، ولكن ماذا ســيحدث عندما ترتمي بلا شفقة المعضلات الدولية تحـــت أجنحـــة قـــوة دوليـــة واحـــدة؟ و لكن هذا يعني بالصميم أن أحدا سيقرر مصير الإنســـانية على الكرة الأرضية البيضاوية ! على المراقب للدولنة العالميـــة أن يتبـــع المنطق السياسي - العملي الـــدولي لأن كافة التنظيرات السياسية الدوليـــة قد فشلت ما عدا واحدة تتمثل بالوطنية ! ! ومن هنا تعكس الظـــروف العاتية على الكرة الأرضية تحديد من له القوة التاريخية بتغيير مجاريـــها ؟! البلبلة السياسية التي نشأت من هذا الفراغ السياســـي الـــدولي حتمـــت

---

[14] أنظر الملحق شكل (9)

بالأساس على القوة المتوسطة القدرة في العالم أن تتراجع كذلك ، بمعنى أن الاستعمار قد ولى ليرتمي في عوالم النسيان وليس التاريخ ، فإن الذكرى قد تنفع الإنسان من حين لآخر ، وخير دليل دولي هنا أمثلة الثوار العالميين الثلاثة الذين ذكروا سالفا ، فهذه الأمثلة الدولية لثوارهم نجم عنها من بين الأمور الدولية الأخرى أن الوطنية قد وضعت العالم بأسره في حيرة سياسية عالمية . الحيرة السياسية العالمية أدت إلى ركوع الغير من الدوليين لثلاثة ثوار عالميين آمنوا بقضيتهم الوطنية لا غير . القضية الإنسانية هنا ليست مرحلية ، فالبعض مكمل للكل ومهما يكن الأمر التاريخي- الإنساني هنا فنهاية القرن العشرين تشهد بلا ذرة من شك أنه لا توجد أي دولة في العالم لديها القدرات الإنسانية في تسيير مصير العالم للكرة الأرضية البيضاوية هذه ، ربما تكون هذه من إحدى مسببات التراجع الدولي [15] .

وضع دولي كهذا يتطلب من المراقب ألا يضع فقط بالحسبان كيفية التطرق للمعضلات الدولية الناجمة عن عدم الاستقرار السياسي الدولي

و ليس فقط التطرق إلى التساؤل عن ما هو العمل ولكن كيف تتحرك الدول ، بالأخص الصغيرة منها في محافل المعضلات الدولية السارية ؟ لعل الأمر السياسي الدولي يتطلب من المرء أن يتطرق بأسلوب مباشر إلى المعاني المختلفة والمتعددة عن الوضع الدولي . ومهما يذكر عن هذا الوضع الدولي غير المستقر بكافة الأبعاد فإن هذه الخريطة السياسية-العالمية تركت مفهوم أحادية القوة العالمية بوضع يوحي بأن

[15] أنظر الملحق شكل (13)

هذه الدولة تحفر قبرها بذاتها دوليا ، ولعل هذه الأطروحة النظريـــة قـــد تكون جزءا لا يتجزأ من فلسفة التراجع السياسي الـــدولي . التغــيرات السياسية عادة تأتي على مراحل ولكن التغير السياسي الدولي هذا يغـــدو أسرع من وميض البرق عالميا .

ألا أن القدرات الدولية من كافة الأبعاد السياسية الإنســانية لهــا قدرات تفوق الإمكانات المتاحة لهذه الدولة المعنية ، كفقر الإمكانـــات الدولية مع مرور الأزمنة ، بمعنى أن أعمدة العظمة الدولية الوهمية هـــذه تخلق بدورها حقائق بمثابة أكاذيب هزيلة . أن تكون دولة ما أضحوكـــة للكون فهذا أمر آخر ، أما أن تكـــون الدولة تمتاز بأحادية دولة عظمـــى في العالم فالوضع هذا أكبر كارثة إنسانية . الكوارث الإنســـانية عـــادة تكون طبيعية ولكن الكوارث الناجمة عـــن انفراد قوة دوليـــة أحاديـــة بالعالم هو إغراق كافة الأبعاد العالمية الجغرافية بمعضلات حيث لم ولـــن تتمكن الإنسانية من تحمل وطأتها ، فالرسالة العملية هـــــنا تضـــع في الاعتبار مصطلح و مفهوم " جدلية التاريخ "[16] ، مع أن هناك إطراء دوليا لبعض المنتمين لأحادية الدولية ولكن الأمر بالذات لا يتعدى كونه أمـــرا إنسانيا عاطفيا . هذه الطفرة الإنسانية العاطفية لا تحتوي علـــى معـــاني عملية . القضية الدولية هذه ، وهي قضية تمس الجميع في الدولة العظمـــى هنا ، ومن هذا المنطلق بالتحديد قد يؤدي إلى التضارب مع المصالح ككل . إلا أن جدلية التاريخ هي القصد هنا ، وإن كـــان الأمـــر كـــذلك فالإنسان هنا يكون مكملا للتاريخ وليس العكس ، ولكن قد يكون مجديا

[16] أنظر الملحق شكل (14)

هنا أن يدون المراقب بأنه توجد هناك معوقات تؤخر مسيرة الإنسان مع التاريخ ، فهذه المعوقات تفرض على الإنسان أن يختار واحدا من الخيارات التالية : التصدي لهذه المعوقات التاريخية العاتية أو تركها أو الرضوخ لها . ومهما يكن أمر هذه الاختيارات فالتاريخ هنا دائرته غير معروفة ولا مدركة ، وإذا كان الأمر الإنساني بتاريخه على هذا النمط ، فالجدلية هذه هي التاريخ بتاريخه . القضية التاريخية هنا مع انشقاقها على ذاتها إنما هي قضية مصيرية للتاريخ ذاته . وهذا الفاصل التاريخي للتاريخ يضع مصير التاريخ الإنساني في مهب التاريخ . ومن هنا فالمراقب للمسيرة التاريخية هذه ينحصر في واقع الحال الذي يحوم حول ذاك التساؤل وهو الذي يطلق عليه بالتاريخ فما هو إذن ؟ تساؤل كهذا جرى مشيا مع الإنسان منذ بدء تفكير الإنسان على هذه الكرة الأرضية هذه ، ولكن الإنسان هو الحيوان الثائر الوحيد في العالم السياسي . هو ثائر لأنه يبحث جريا وراء سعادته ، وإن كان الأمر الإنساني كذلك فلا يهم على الإطلاق كيفما تتأتى هذه السعادة التاريخية المرتقبة ، وعليه فتحقيق جزء يسير من هذه الطموحات الإنسانية سواء على المدى البعيد أو القريب ، إنما هو انعكاس لبصيص إشراقة واقعية لتحقيق هذه الطموحات التي يزهو بها جمال الإنسان ، فطموحات الإنسان جميلة بسعادة تحقيق أحلامه السعيدة . وهذه الوتيرة التاريخية التي تكفن ثنايا رسالة الإنسانية للتاريخ.[17]

[17] أنظر الملحق شكل (15)

الفصل الخامس

رمادية السياسة الدولية

مقدمة

أن يكون العالم السياسي للكرة الأرضية البيضاوية ذا لونين سياسيين ، أبيض وأحمر فمن السهولة التعامل مع إفرازاهما السياسية ، ولكن أن تكون المرآة السياسية للعالم السياسي تعكس ألوانا مختلطة بحيث تعكس الرؤيا الرمادية لهذه الأوضاع السياسية ، وأن يكون العالم السياسي بلا لون معترف به من قبل الجميع فحتى الخلاصات التي تنجم عن كل هذه الأوضاع العالمية السياسية حتى النتائج كحلول مرتقبة أو لاحقة فالأمر السياسي هنا سيان ، وإن كان الأمر السياسي كذلك فانه يتطلب من الإنسان أن يثور على محيطه سواء الإنساني أو غيره .

إلا أن الأمر السياسي العالمي أمر يتطلب تضحيات إنسانية جسيمة، والتضحيات الإنسانية هذه تمس كل ذرة متحركة أو غيرها في الوجود الإنساني من خليته السياسية المصغرة وصولا إلى الدولة . تراكم هذه المعضلات السياسية الدولية على الإنسان أصعب وطأة على مسيرة التاريخ

الإنساني بذاته ، وان كان الأمر الدولي كذلك فالمتوقع سياسيا دوليـــا ، على الأقل ، شمولية القرارات الرمادية التي تمس الدولة وبالتـــالي العـــالم السياسي هذا أو ما شابه ذلك . الترنح في اتخـــاذ القـــرارات السياســـية الرمادية لن تفيد ، بأسلوب إنقاذي لا الإنسان ولا دولته .

الفارس والقنبلة النووية وتوابعها

السيف وتأسيس الدولة

- في بادئ الأمر كان الفارس المدجج بالسيف ، ذكر تكرارا شـــهامة الشجاعة وصدق ذاته ، وبدأ بممارسة القتل بـــلا حـــدود تذكـــر ، وخلق خلال مسيرته القتالية فنونا لا حدود لها . فهـــو يقـــال عنـــه أنـــه شجـــاع ولا يهـــاب الموت ، فمنذ بداية القرن العشرين طـــرأ تغيير ملحوظ إنسانيا في فنون القتال هذه التي جوهرها كـــــان فنـــاء الإنسان من الكرة الأرضية البيضاوية . فالعصر القتالي الذي عـــاصره هولاكو "HOLAKU" اختلف جذريا عن الأساليب القتالية التي تبعتـــــه ، فحصر هذا الفارس الذي أطلق عليه بالهمام كان مدركا مسبقا قتاليا . أساليبه القتالية كانت تقشعر لها قلوب الجنود والأبرياء من العامـــــة . فهو وإن كان منتصرا في الحروب إلا أن التاريخ الإنســـــاني تجاهلـــه ولصقت به كافة أنواع القبائح الإنسانية . فيذكر هنا على سبيل المثال فقط ، أنه إذا انتصر في حرب ما فإن أمره العسكري معروف ســـلفا، فجنود أعدائه المهزومين كانوا يدفنون في التراب ماعدا رؤوســـهم ، ثم

يأمر جنوده أن يسيروا مسرعين ليهشموا هذه الرؤوس للقلوب الحية من الجنود . هذه الأمور القتالية بأساليبها خلقت ما سمي بعدئذ بالدولة. ولكن هذا الدكتاتور في التاريخ الإنساني سهل الحصول على الألقاب الأكاديمية لجولي "JULI" من جامعة أكسفورد "OX FORD" التي بنت أطروحتها على أنه في العصور السابقة كان الموت في القتال أصعب من حروب القرن العشرين والسبب في ذلك أن الموت الإنساني في السابق بطيء ويحمل معه عذابا ، أما في القرن العشرين فالموت في القتال غدا سريعا بسرعة البرق .

الذي يبدو فإن حتى أساليب وأنواع القتل أضحت لها تنظيراتها المميزة لها . وفي هذا المجال الاقتتالي التاريخي للإنسان فالتطور السلاحي مع تقنياته التي شهدها القرن العشرون منذ بدايته حتى نهايته حسن بالطبع هنا أنماط القتل الإنساني لأولئك الذين اتخذوا مسلك هذا الفراق الاقتتالي مسلكا ، ولكن منذ منتصف القرن العشرين أضحى القتل الإنساني جماعيا، وهذه الكرة من القتل الجماعي كان من الصعوبة بمكان أن تخفي هذه التي أطلق عليها بالإجرام ، فالقرن العشرون مع تقدمه التقني شهد فنونا من القتل الإنساني الذي التبس على الإنسانية جمعاء .

ومهما يكن أمر القتل الإنساني المتعمد فهو دائما يغلف دائما باللامنطق الذي يذهب إلى أن اقتناء الأنواع المختلفة من أسلحة الدمار ، إنما كلها تستخدم تحت إطار الدفاع عن النفس ، ولكن هذا الذي يطلق عليه بالمنطق إنما هو دليل آخر على أن هذا الفارس الإنساني

الذي يطلق عليه بالمنطق إنما هو دليل آخر على أن هذا الفارس الإنساني الذي يطلق على جرائمه الإنسانية إنما يصدق أكاذيبه التي يخلقها بذاته من شيء ليقنع بها ذاته لا غيره . مع هذه الوتيرة اللاقتالية هناك البعض من الناس الذين يطلق عليهم بالمثقفين يأتي دورهم من النافذة الاعتزازية واضعين في الاعتبار هنا تلك الفلسفة التي يطلق عليها " الدفاع عن النفس" ، ولكن هذه التي يطلق عليها بالفلسفة الدفاعية لها أسعارها البشرية ، ومن هذه الأسعار البشرية تلك التي يطلق عليها بمنطق الإبادة الجماعية لأولئك الذين في الطرف الآخر . هي كذلك لأن هذه الفلسفة الدفاعية إن خلت من هذه السلسلة القتالية فمالكها ونظريتها يكونان في عداد الموتى . ومن هنا فمطالبة ذاك الفارس المتصدي بالقنبلة الذرية إنما يكون يحفر قبره بنفسه قبل غيره .

يذكر عنه أنه عسكري عصامي بنى نفسه حتى ارتقى بنفسه إلى رئاسة الدولة . جميل وسعيد هو الجندي الذي تدرج إلى هذه المراحل في هذه الحياة التي تمتاز بالرقي حتى وصل لمرحلة الرئاسة . هو يعرف كيف وصل إلى هذه المرحلة الحياتية من الرقي ، ولكن الآخرين لم ولن يعرفوا أي شيء عن هذا الأمر المصيري وثوقه من تدرجه إلى قمة السلطة السياسية في الدولة ، هو سعيد بل في قمة السعادة الإنسانية لأنه هو امرئ أينما استقرت عيون أتباعه ، فهو يعتلي ثيابه العسكرية المدججة بالسلاح والتي توحي للناظر أن الإنسانية هذه وصلت إلى نهاية القرن العشرين . ولكن بين يديه يرقد سيف مصنوع من الذهب الخالص.

ولكن القاعدة الشعبية لهـــذا الفارس الهمام المدجـــج بالأســـلحة الحديثة تعتريها أمواج عارمة من الخوف المشوب بلحظات من الثـــورة ، وهذه الشعبية للقاعدة لديها ميزة محددة ومعروفة قبيل الإبحـــار في هـــذه الموجة المتوجة بالثورة ، وهذه الميزة للقاعدة الشعبية تنحصر في اســتعمال السلاح المدجج بغضب وصرخات هذه القاعدة إلا أن هذا النمط مـــن الثورة يقابل بسلاح الجندي الذي يقبض على صولجان الرئاسة ، وهـــذا الجندي الرئيس إنما يفتخر لتبوئه السلطة السياسية .

وفي العودة للتاريخ ووصول هذا الجندي - الرئيـــس إلى الســلطة السياسية نجد هذا الوصول ملطخا بالدماء البريئة من الشـــعب ، فـــهذا الجندي - الرئيس تعلم كيف يتعامل مع أولئك الذين يحملون الســـلاح ضده ، فبالنسبة له ليست هناك طريقة وأسلوب آخر غير هـــــذا لأنـــه يعمل بمنطق كما يعتقد . الوصول إلى درجات هـــذا المنطـــق الرئاســـي المسلح من الصعوبة بهذا هضمه فكريا أو حتى جسديا . الأمر الإنســـاني هنا يغدو ليس على مراحل ، فالموت كان مقررا قبل حدوثه .

جميع هذه الأمور المزدهرة بالقتل المتعمد منـــذ منتصـــف القـــرن العشرين تفشت في العالم وفي كل المناطق الجغرافية بلا اســـتثناء . عـــدم الاستثناء هذا له منطقية مدروسة نوعا ما. البعض الآخر مـــــن النـــاس متأكد من أن كل هذه الأمور لها منحنى إنساني عفوي . ولكن مـــــهما يكن هذا الأمر فالقتل الإنساني يحمل معه واقعا آخر يتوه مـــــن خلالـــه المراقب بتحديد من أين ولماذا وإلى أي حد إنساني تقبل القتل الإنســـاني هذا الجندي القابع على مدة نجاحه أمر طبيعي كطبيعة الولادة العســـيرة .

وإن كان شأن القتل الإنساني كذلك فأشكال القتل المتعمد قـــد تكـــون مزدهرة ومصبوغة بأوراق قانونية أو ما شابه ذلك .، والجندي الرئيـــس يملك في واقع الحال سخرية قتالية على الناس الأبرياء . هـــذا الاســتهزاء بالإنسانية بوجودها الجسدي وفكرها كأن هذه هـــي نهايـــة الوجـــود الإنساني . والجندي الرئيس هذا ليس خططا مستقبلية غـــير خططـــه في استمراره في السلطة . القوة المفروض بها أن تـــكون جوهر الموضوع هنا ، ولكن القوة هذه للرئيس الجندي إلا أنها سلة من الأوهام السياســـية . هي كذلك لأن هذا الجندي الرئيس لم ولن يفقه أي شيء عـــن مـــدار فكر الإنسان . فهذه الحثالة من العسكر المترئسين عنوة على الشعب مهما يحاولون قصارى جهدهم العسكري بان يبتروا هذا العقل المفكـــر فلـــن يتمكنوا من هذا الأمر . إلا أن الشأن الإنساني هذا يمس حـــتى المقربـــين عرقيا من هذا الجندي الرئيس . وتباعا من كل هـــذا تـــزداد المجاعـــات وينتشر الفقر...وغيره بين المجاميع البشرية في هذه الدويلة الـــتي يحكمـــها العسكري هذا ، وحتى علاقة هؤلاء العسكريين الذين يمثلون الحثالة مـــن الشعب العسكريين هؤلاء لا علاقة قلبية لهم مع النساء اللواتي يقترنون بهن . حياة عسكرية كهذه لا يهزمها إلا الفكر النابع من الاضطهاد والتعسف . السخرية من هؤلاء الحثالة من العسكر وضحها أدبيا بأسلوب سياســـي ساحر مؤلف من كولومبيا "COLUMBIA" غابريل غارسيا مـــاركوز "GABRIL GARSIE MARGUEZ" . فالذي يراقب النار غير الذي يشوى بها. والذي ليـــس باستطاعته بأن يتنبأه البعض من هؤلاء الحثالة من الحكام العسكريين هـــو ذاك الذي يحاول ماركوز أن يتفوه به من خلال قصصه أن هـــذا الأمـــر

العسكري شامل ولا يخص دول العالم اللاتيني شمولية السخرية الأدبية السياسية لماركوز انتقلت إلى كافة قارات الكرة الأرضية البيضاوية وبالأخص هنا بأفريقيا وآسيا ، ولدى التطرق للأدب السياسي الساخر هذا تطور الصراع بين العسكريين والقاعدة الشعبية المتشعبة مع مرور الأيام لتاريخ الإنسانية ، وهو أن كان هذا الجندي العسكري - الرئيس يمارس الاضطهاد والتعسف على شعبه البريء تحت أطر القوانين التي يدونها بنفسه فهذه هي قمة السخرية السياسية ، ومن نافل التذكير هنا أن أولئك الحثالة من الحكام العسكر يمارسون سلطتهم السياسية وهم تحت غطاء عسكري دولي يمدهم بشتى الأساليب المتاحة من مساعدات يستثمرها هذا الجندي الرئيس الحاكم . وهذه الوتيرة العسكرية للجندي العسكري الحاكم عنوة بأنه سعيد بدولنة مرضه السياسي العسكري هذا ، وعليه فبالنسبة للحثالة العسكرية الحاكمة فالكل سواسية أمام أعين دول العالم هذه .

يبدو أن نادي الحكام العسكر في الكرة الأرضية ، الاشتراك فيه صعب المنال لكثرة طلبات الاشتراك فيه . الشرط الرئيسي للانتساب لهذا النادي استمرارية الحكم في النظام السائد في الدولة . إلا أن هذا النادي الدولي للعسكر إنما يختلف من ناحية التسمية . اللقب الدولي هذا خير مؤشر عن مكنوناته . التسميات الدولية للأندية كان لها ميزة أخرى تتمحور حول النتائج الأخيرة التي لها أهم الدلائل الإنسانية ، فهناك ناد عالمي يطلق عليه نادي العراة وهناك ناد دولي آخر هو نادي البؤساء وهناك ناد عالمي يطلق عليه نادي الفقراء وهناك ناد عالمي يطلق

عليه نادي الأسود وهو للأغنياء فقط ، إلا أن نادي العسكر في العالم لـه شعار آخر يطلق عليه " نادي الجالسين على السيف ".

تسمية وشعار كهذا لهما مدلولات متعددة ، فالمرء باستطاعته هنا أن يأخذ حريته ، وهذه الحرية دولية من منطلق شعبي لا غير . فذاك راعي الماشية في جبال " الأنديس" في جنوب أمريكا له كل الحق بأن يرفض الانتماء إلى نادي العسكر الملقب " بالجالسين على السيف" فلا توجد علاقة قريبة أو بعيدة مع هذا النادي المميز دوليا ، فكل دول أفريقيا وآسيا تئن تحت وطأة المنتسبين لهذا النادي العسكري المميز ، ومن هنا فالمراقب بإمكانه أن يطلق رأيه بلا امتناع سيفي-عسكري بأن الجلوس بهذا النادي و هؤلاء المميزون في العالم هم من المؤكد من النخبة ، وهذا اللقب اللاحق يحمل بين طياته عدة معان ووقائع دولية .

معظم هذه المعاني بوقائعها تنصب يدا بيد في وحدة عسكرية بين أولئك البعض الجالسين على عروش السيوف ومعظم الدول المتوسطة القوة. المجالات العسكرية الدولية مفتوحة على مصراعيها ، ومن أهم بنود هذا التعاون العسكري الثنائي في نادي العسكر "الجالسين على السيف" الدولي هو التبادل العسكري بمعداته وأخباره غير المرئية للعالم أجمع . هذه التي يطلق عليها بالسرية الدولية لا معنى لها على الإطلاق متى أدركت وعرفت النتائج ، وليست هناك نتيجة أصدق من الموت المتعمد .

ولكن هذا الأمر يعني بالصميم أن الموضوع هنا يعني أن هناك اتفاقا ضمنيا بين الدول المتوسطة القوة الدولية ونادي «العسكر الجالسين على السيف» بأن هذه التي يطلق عليها بالقوانين الإقليمية والدولية إنما دونت

لتوضع في أدراج النسيان الإنساني . إلا أن هناك ترابطا مصيريا بين الاثنين وليس تعاونا مـــن أي نوع يذكر ، وهـــذا الإطار المصـــيري لابـــد أن تكون له خلفية تاريخية – مصيرية . النادي العسكري هذا للجالسين على السيف كان له منافع مرحلية جمة لبائعي وتجار السلاح حـــول الكـــرة الأرضية هذه.

ولكون العالم مصغرا جغرافيا بالأخص بعد منتصف القرن العشرين فإن وطأة السلاح على الشعوب حول العالم هـــذا كـــانت ككـــوارث لاطبيعية . وأي خطة عمل في استخدام الأنواع المتعددة والمختلفة لهـــذه الأسلحة الناتجة من الدول العظمى والمتوسطة القـــوة ضـــد الشـــعوب المضطهدة كان يؤدي إلى تقوية إصرار هذه الشعوب العالمية الأخرى على المضي في المطالبة بحقوقها ، صلابة هذه الشعوب على الكـــرة الأرضيـــة البيضاوية لم يكن عليها أي غبار عالمي ، وخلال القرن العشرين هـــذا لم يشهد تاريخ الإنسانية أشد صلابة وقوة إرادة وطنية مـــن الفيتنـــاميين بقيادة "خوشة منه" . الشعب الفيتنامي بنضاله ولكن هنـــاك القواعـــد الشعبية العالمية التي كانت لها آراء محددة بالنسبة للصراع السلاحي الدائرة في "فيتنام" . من أحد هؤلاء البارزين في العالم العربي كان نزيل السـجون الشاعر المصري أحمد فؤاد [18] الذي أنشد ذاكرا :

هوشي منه

يادي العجب يا رجب

يا مرتب الحكايات

---

[18] أحمد فؤاد نجم . قصائد من المعتقل " بلدي وحبيبتي " ، دار ابن خلدون ، بيروت ،1980 ، ص46–ص49 .

اسمع وشوف واندهش

واكتبها في الكتبات

عسى الكلام ينقري

لو قلبوا الصفحات

خلي الشعوب والدول

تتعلم البطولات

الحزن طول عمرنا

له من حياتنا ساعات

نقضيها في النهنهة[19]

ونضيع الأوقات

نبكي على اللي انقضى

ونعيش مع اللي فات

شوف العجب يا رجب

واعجب من الروايات

بلد الملاحم بكى

نزلت دموعه دانات

ع الظالم المفتري

حلفت عليه ما يبات

---

[19] الههة : البكاء بصوت عال .

أول ما طار الخبر
بين الجنود إشاعات
دمع البارود انهمر
دفعات ورا دفعات
واحدة تصيب العدا ؟
تردي العدا عشرات
زعق الفضا زعقات
والتالية تحمي السما
من فانتوم الخواجات
والمية
والألوفات
مطر بارود
وانبدر
ف الأرض والسموات
يغسل طريق البشر
ويموت الحشرات
ولما ذاع الخبر
وتأكد الإثبات
صاح السلاح
ف الحرس
قال هوش منه

مات

الحاكم اللي زهد

ف الملك

واللذات

والزاهد اللي حكم

ضد الهوى

والذات

مات المسيح واندفن

ويهوذا بالآلافات

مات الصديق الوفي

للخضرة

والغابات

مات

بس فات للأمل فوق الطريق

علامات

لو سار عليها العمل

طول الطريق بثبات

تهدي الغريب سكته

وتقرب المسافات[20]

---

[20] سجن القناطر 28-30 سبتمبر 1970 .

جوهر رسالة احمد فؤاد نجم للتاريخ الإنساني يحوم حـــول الواقـــع العسكري الذي هو بالأساس يحوم حول الأنماط المتعددة المختلفـــة عـــن الاضطهاد والتعسف.

العامل المشترك بين هذا نزيل السجون المصرية و " خوشه منه" هـــــــي دائرة التاريخ الإنساني الذي يشهد تغييرا مميزا إلا أنه من الناحية الدوليـــة كدولته الحقوق الوطنية الفيتنامية قلصت الفجوة التاريخية بين الدول الـــتي عرفت بالدول ذات القوى الدولية العظمى والقوى المتوسطة وبين الـــدول الصغيرة الجغرافيا . كل من " كارلوس وبيكو" أقفلوا هذا الفصـــل مـــن تاريخ الإنسانية المعاصر ، ومن هنا باستطاعة المرء أن يدون واقعا تاريخيـــا مميزا .

في عقد الخمسينيات القارة الأفريقية كانت تغلي شعبيا في مطالبتـها في الحصول بدولها اليانعة على استقلالها الوطني . تزعـــم هـــذه الموجـــة السياسية الوطنية كوام نكروما " KWAM NUKKAMA " ، ومما لا شك به هنـــا أن القارة الأفريقية بتركيبتها البشرية كانت معقدة عرقيا . هذا التعقيـــــد العرقي في أفريقيا حظي بالعديد من الناس بعدم تفهم هذا الوضع . ومـــن هؤلاء كان كارلوس . إلا أن نقده يجب ألا يأخذ من منحنى انه اتخـــــذ موقفا مناضلا ضد القوى الوطنية . كافة المؤشرات الواقعيـــة تـــؤدي أن كارلوس اعتقل بلا قانون في السودان .

الاستعمار الغربي ترك القارة الأفريقية جزئيا . العســـــكريون لاذوا بالفرار بقوة السلاح ولكنهم تركوا مخلفاقم التاريخية وراءهم . المراقـــب هذا عليه أن يضع في الاعتبار أن القارة الأفريقية من أغنى بقاع العـــالم في

الكرة الأرضية بالموارد الطبيعية ، وفي الآن ذاته هـذه القـارة شـهدت انقلابات عسكرية في دولها المتناثرة أعدادا لا تحصى ولا تعد ، ولكـن المطالب الشعبية الأفريقية لم تتوقف ، ولـكن سواعد أعضـاء النـادي الدولي والعسكر " الجالسين على السيف " انشـرحت . بـوادر هـذا الانشراح العسكري بدا واضحا مع انتشار الثراء الفاحش دوليا . السلاح عادة إن كان بيد الأغبياء والمتخلفين يقود إلى إزهاق أرواح الأبرياء مـن الشعب ، وفي القارة الأفريقية بالذات السلاح كان ولا يزال يستخدم في انتشار الفقر وتوابعه من مجاعات عرقية وجرائم إنسانية وغيرها ، ومن هنا فالذي ذكر عن عيدي أمين "EIDI AMIN" أنه كان يتلذذ بسـعادة عندمـا يجمع معارضيه معا أمام بحيرة ويأمر جنوده بإلقائهم في البحيرة لتأكلـهم التماسيح أحياء وهو ضاحك ، كان يعكس أهـواء أعضـاء النـادي العسكري الدولي " الجالسين على السيف " .

إلا أن الوضع الإنساني في شبه القارة الهندية أكثر تعقيـدا مـن القارة الأفريقية ودول أمريكا اللاتينية ، ومن كافة الأوجه الإنسـانية في الهند فلسفة غيبية تلعب دورا رئيسيا في الحياة الإنسانية على مدار شـبه القارة الهندية . فهذه الفلسفة الغيبية أثرت في الشعب الهندي في تعاملـه الحياتي حتى أنه رقى الحيوانات إلى مرحلة القدسية ، ففي بعـض هـذه المناطق الجغرافية في شبه القارة الهندية حتى البقرة لها قيمتها التي تتعـدى بأشواط تاريخية الإنسان ذاته . علاوة على هذا وذاك فهذه الفلسفة الغيبية سهلت للتجمعات الإنسانية المترامية في شبه القارة الهندية .

النادي الدولي " للجالسين على السيف " قد لا يجدون افضل مـــن هؤلاء الأعضاء التابعين لشبه القارة الهندية ، ومن هنا فاختلاط الفلســـفة الغيبية مع العسكرية فالفناء الإنساني يغدو طبيعيا كمسيرة الســـحاب في السحاب . علاوة على هذا فعدد السكان المتخم لشبه القـــارة الهنديـــة يساهم بشكل مباشر في تسهيل عمليات الفناء الإنساني هذا ، ولكن كافة هذه الأمور الإنسانية لشبه القارة الهندية تزيـــد مـــن تعقيـــد التســـييس السياسي، وبالأخص من منحنى سياسي داخلي وليـــس بـــالضرورة في السياسة الدولية التعقيدات الداخلية للإنسان المدني هذه تحوم حول عـــدم تفهم وإدراك أهمية الانتماء بأشكاله المتعددة من المنحنى الإنساني السياسي وأتباعه من التسييس . فعلى سبيل المثال هنا وليس الحصـــر فالشـــيوعي الهندي لم ولن يستطيع الأمور السياسة ـ العرقية التي تمتلك الخلية السياسية العامة وليست بالضرورة الإقليمية فالحزب الوطني الذي أنشأه غـــاندي "GANDI" ذاب سياسيا من منحنى داخلي ، وكذا يذكر الحزب الشـــيوعي في منطقة مالابار"MALABAR" ، فهناك تراث تاريخي ـ حضـــاري جهلتـــه كافة التجمعات السياسية الهندية ، وحتى إن كان القرار السياسي لهـــذه التجمعات السياسية فمحاربة هذا التراث الحضـــاري الهنـــدي يغـــدو مستحيلا .

ومهما يكن الأمر هنا فالاقتصاد كعامل سياسي يؤدي دورا مميزا في تسهيل الدورة الاستغلالية المادية ، وهذا يشمل جميع قاطني شبه القـــارة

الهندية، وكذا يذكر عن أفريقيا و أمريكا اللاتينية . لعل الأرقـــام هنـــا تتحدث عن نفسها لوطأة الاستغلال الاقتصادي السياسي [21].

تسلق المادة والتسييس

هناك بعد اقتصادي مميز للمناطق الجغرافية على الكـــرة الأرضيـــة البيضاوية تغدو فيها كافة الشعوب متسيسة للقوى الثلاثية الدولية الـــتي ذكرت سالفا . تماشيا مع تذبذب الوضع المالي الدولي فكلتـــا القوتـــين العالميتين شهدت تقلصا ملحوظا من بداية إلى نهاية القرن العشـــرين . في البداية بزغ المفكر الاقتصادي البريطاني آدم سميث "ADM SMITH" ليعبر عـــن كيفية جمع المال والجهد الإنساني للإتيان به . إلا أن هذا المال انعطف بعد منتصف القرن العشرين إلى أبعاد دولية اقتصادية . ولـــكن الإنســـان تقوقع على ذاته في الكرة الأرضية باحثا بلا مردود فعلي، عن مخرج مميـــز هنا . ومن هذه الانطلاقة الفكرية الاقتصادية تبنى العالم الرأسمالية . هـــذه النظرية الاقتصادية بسطت سهولة الاستغلال الاقتصادي ، كالإنسان مـــع أن "آدم سميث" جمل نظريته الاقتصادية ولكنها كانت معنونة للأغنياء و لم تمس على الإطلاق المستضعفين على الكرة الأرضية البيضاوية . الوضـــع الإنساني-الاقتصادي أفرز عدة نظريات عن الإنسان . ونجم عـــن هـــذا طوفان التناقضات في المجتمعات الإنسانية .

مهما يذكر عن الإنسان فالجزء الأكبر مـــن حياته يتمثل بالتربيـــة التي أعمدتها لا تتعدى كونها أحلاما ، وهذا الواقع الحلمي يشمل جميـــع الناس على سطح الكرة الأرضية البيضاوية . على مدار الأزمنـــة فـــهذا

[21] أنظر الملحق شكل (16)

الإنسان حاول قصارى جهده أن يحول هذه الأحلام إلى واقع . المعضلة الإنسانية هنا حامت حول أن الأحلام تظل أحلاما ليس إلا ، وحتى قبيل رحيله عن الأرض فالإنسان يحلم بالمكان الذي سيذهب إليه بعد الممات . عبر تاريخ الإنسان فالفيلسوف الأسباني خوسيه أرتيغا غاسيت "JOSE ORTEGA GASSEY" المعاصر الذي عاش بين 1883 و 1955 كان له رأي خاص عن الإنسان . وقسم مراحل تطور أو عدم هذا الإنسان إلى جزأين ، الأول اختص في احتياجاته العملية في الحياة . أما الثاني فقد حام حول جماليات المنحنى العملي-الاجتماعي بدورانه ، وتلاحم الطرفين برأي غاسيت هو الذي يخلق الإنسان المبدع .

الإنسان بطبيعته متغير أو تواق إلى السيطرة ، وهذه السيطرة تأخذ عدة أشكال وأنواع . لعل من كل هذه الأنواع من السيطرة الإنسانية هنا الثنائية المترابطة على بعضها البعض المتمثلة بالاقتصاد والسياسة . ترابط البعدين الإنسانيين هنا له منطق عملي و عاطفي في الآن ذاته . وفي الآن ذاته تغلب أحد الطرفين على الآخر يخل بتوازن الإنسان في وجوديته . ومن هنا فترابط الاثنين معا يتطلب من الإنسان أن يبذل قصارى جهده . في معظم مراحل تاريخ حياة الإنسان كان السلاح يحل معضلته مع الوجود . إلا أن السلاح لم ولن يحل هذه الإشكالية الإنسانية. التاريخ الإنساني مليء بالأمثلة لبرهان هذه المقولة . في تاريخ الصين القديم ارتأى الفارس المقدام خوانغ دي " HUAN DI " الذي عين نفسه إمبراطورا ، إن معضلة الصين تكمن في قراءة الكتب ، وعليه فأمر

بحرق الكتب في الإمبراطورية الصينية . ولكن الصين خسرت تراثها بتاريخها .

تسلق المادة هو أمر يتطلب أكثر من القدرات الإنسانية الطبيعية وفي المراحل الإنسانية الطبيعية ذاهّا . التسلق المادي هذا دوليا خلق عدة مآزق دولية . إلا أن المادة بسهولتها الهارت كرذاذ المطر غير المنقطع على البعض من هذه الكرة الأرضية البيضاوية ، ومن هذا الواقع الدولي المالي حجم تحديد الدور الدولي والخلية السياسية المصغرة القوى العظمى والمتوسطة ، وهذا الوضع المالي الدولي نجم في مراحل تاريخية حيث السلم، بمعنى عدم استخدام القنبلة النووية هنا لحل الأزمات السياسية من بعيد أو قريب ، ومهما يكن الأمر الإنساني فهناك القدرات العقلية الإنسانية التي يجب ألا يستهان بها دوليا ، ومن نافل الذكر هنا أن اليابان بتجاربها المالية الدولية قطعت أشواطا كبيرة وقوية في هذا المجال الدولي المالي. لعل الحياة بلا أمل بالنسبة للإنسان هي حياة فارغة من المعاني الواقعية . وهذا الأمل في حياة الإنسان هو الذي يشكل قوة دافعة لذاك الذي يطلق عليه بالرقي . مع أن مصطلح الرقي مسألة نسبية إلا أن الإنسان يحاول قصارى جهده أن يتخطى الصعاب التي تواجهه وهي محاولة وليست إلا . تراكم هذه الآمال على بعضها البعض له مطالبه و بالأخص الاجتماعية منها ، وفي هذا المحفل الاجتماعي تنهمر القدرات الإنسانية على الإنسان حيث يكرر الإنسان محاولته اللامنتهية في تحقيق آماله . ومن هنا فنظرية «خوسيه أورتيغا غاست» عن الإنسان بعلاقاته الاجتماعية لها منطق عملي ، وهي كذلك لأن تحديد خيط بوادر

التغيرات الإنسانية هي من الدلائل التي توحي بنجاح أو فشل هذه الآمال الإنسانية من بعيد أو قريب . وفي هذا المحفل الإنساني يبدو أن "غاست" لم يكن ملما بالتطورات الاجتماعية الدولية . ولكن عدم الإلمام الاجتماعي الدولي هذا لا يعني أن فلسفته قد فشلت . ومن هنا فالتطورات التي حدثت في دولة بنغلادش خير دليل على أهمية نظرية غاست . المرأة في بنغلادش لا تعاني فقط من البؤس الإنساني المرحلي ولكن هذا الوجود الإنساني بالنسبة للمرأة في بنغلادش هو مسألة دائمة. ومن الأهمية بمكان هنا بالنسبة للشعب في بنغلادش إتباع أي نمط ديني له أهمية لهم ، وعليه فالطبقات الاجتماعية تعكس بواقع حقيقي وضع المرأة [22].

يبدو أن هناك فجوة تاريخية ـ دولية تفصل بين طرفين حضاريين . التساؤل المطروح هنا ليس عمن هو أم هم المسؤولون عن تدفق هذه الكوارث على الإنسانية ؟ وليس عن لماذا ؟ وليس عن ما العمل ؟ وليس التطرق إلى المعطيات الإنسانية أم لا ؟ وليس عن المواقف السياسية أو غيرها للأوضاع الإنسانية هذه ؟ وليس عن دور التاريخ وعلاقته بالإنسان وليس عن موقع الإنسان من هذه الكوارث المتعاقبة على بعضها البعض وليس عن المخاض الحضاري الذي ينجم من كل هذا ، وليس من مستفيد من كل هذا ؟ وليس بعد نهاية انتشار الأطلال وعواقبه ، ولكن بين هذا وذاك هناك تساؤل طالما تعمق به الإنسان فكريا ، وهو ذاك الذي يحوم حول قيمة المال الحقيقية من وراء كافة هذه القيم التاريخية –

---

[22] *ARGUING WITH THE CROCODILE , SARAH C WHITE , LONDON , 1992 .*

الإنسانية . لعل "خوسيه غاسيت" لم يسعفه التاريخ الإنساني في التطـــرق لهذا الموضوع العلائقي الإنساني .

التسابق الحضاري للتأقلم معه لن يتأثر بمضاجع أحـــلام اليقظـــة . ولكن إن كان الأمر الإنساني غير هذا فالأعضاء مـــن النـــادي الـــدولي للجالسين على السيف أكثر من سعداء لانتمائهم للعسكرية الدوليـــة . إلا أن جميع الأمور الإنسانية متروكة لتطفو على محيـــط ســـباحة الأحـــلام الإنسانية للشريحة العظمى من شعوب هذه الدول التي تعتبر مـــن أتبـــاع الدول الصغيرة و التي لم تجد غير مخرج أحادي غير الســـباحة بحريـــة في أحلام اليقظة ، فبالنسبة لهذه الشعوب فهذا هو الواقع الإنساني .

جدولة التسلق المالي تتطلب من البعض في هذه المجتمعات السياســية منعطفا دوليا مميزا . التميز هذا ينحصر في خانة ذاك الذي يطلـــق عليـــه بالعظمة المملوءة بتكديس الأموال ، ولكن من أين تأتي هذه الأمـــوال ؟ خير وسيلة لتكديس هذه الأموال هو بتسييسها ، إلا أن التسييس المـــالي هذا يضع الدول المتوسطة القوة في مآزق دولية جمـــة . فـــهذه الـــدول احتضرت استعماريا ، ولكن الدول المتوسطة القوة لديها ممثلون مـــاليون من الدول هذه الغنية بالمصادر الطبيعية .

ومن هذه الانطلاقة المالية المسيسة فالأمور الإنســـانية تصـــل إلى مراحل يكون من الصعوبة بمكان اتخاذ القـــرارات السياســـية الناجحـــة بشأنها. ولكن قد تكون المعضلة السياسية الماليـــة تكمـــن في الأوضـــاع الدولية المسيسة بذاتها، وهذه الفئة البشرية من الناس الذين يتسيسون ماليا لهم القدرات البشرية في التأقلم المادي مـــع الأوضاع السياســـية ســـواء

داخليا أو إقليميا أو دوليا ، وكل منطقة جغرافيا من هذه المناطق السياسية - الاقتصادية تملي شروطها وقوانينها المتبع لها، ولعل من كل هذه الأمور يطفو المال بأصحابه فوقها بحيث يصعب بعد حين التمييز سياسيا على موطئ فكرهم هذا . ألقابهم السياسية تهب المرء انطباعا بأن هذه الألقاب تعكس موضعهم الفعلي في تاريخ الإنسانية العابر. الرأسماليون في العالم يطلقون عليهم بالوكلاء ، والشيوعيون بالعالم يلقبونهم بالكامبرودور"COMPRADORE" وأما الاشتراكيون فلم يستقروا على لقب اقتصادي - سياسي حيال هذا الموضوع .

اللقبان الاقتصاديان -السياسيان الأولان أسهب بها المفكرون حول العالم . ولكن الأخير فلا يزال في مجالات البحث الفكري . لعل السبب هنا يكمن في واقع الحال الإنساني بأن الجميع في الخلية السياسية المصغرة للدولة أو غيرها لديهم ضلع في هذا الوضع الاقتصادي-السياسي . فهناك الذين يطلق عليهم بالعسكر الجالسين على كرسي السلطة السياسية وأصحاب المال التقليديون والذين يطلق عليهم بالمفكرين وتجار المسكنات المتنوعة من حشيش وخمور وتوابعها من الناس المخضرمين أو غيرهم .

إلا أن لكل قاعدة شواذ اقتصادية - سياسية ، وبعد مرور لحظات من التاريخ الإنساني فهذه الطفرات الإنسانية العملية يغدو المرء بحرية اقتصادية -سياسية في العالم الكوني هذا ليخرج نفوذه خارج الكرة الأرضية البيضاوية . إلا أنه يجب أن يوضع في الاعتبار هنا أن الناس الماليين الدوليين ليست لديهم الحرية في تسييس موقعهم المرموز هذا دوليا. وفي الآن ذاته يجب أن يراعي المراقب هنا أن هذه الحالات الاقتصادية-

السياسية الشاذة لا تتوافر بأنماط إنسانية متعـــددة في الـــدول العظمــى والمتوسطة منها . لعل هنا مثال " أوناسيس" قد يشفي غليـــل المراقـــب فكريا. أوناسيس "ONASIS" اليوناني تدرج من العدم اقتصاديا حتى وصـــل إلى قمة قمم المال دوليا ، ولكن الكرة الأرضية البيضاوية محاطة بالبحار . " أوناسيس" اختار البحار كمهنة اقتصادية ، ولكنه في ذات الوقت كـــان محيطا بجميع دول العالم المسيسة مـــن عدة أوجه إنسانية هنا ، ومـــــهما يكن من أمره اقتصاديا فهو قد خسر وضعه المادي والسياسي دوليا هـــذا ناهيك عن ذكر وضعه الخاسر إنسانيا في الحضارة التاريخيـــة الدائـــرة . التسييس الدولي هذا كان له عازل عسكري أطاح بقوة السلاح بـــتراجع حضاري إنساني ملحوظ حيث أن هذه الأسلحة المستوردة أتـــت مـــن الدول ذات القوى العظمى أو المتوسطة القوة [23].

المثقفـــون العابـــرون دوليـــا

هناك أناس على الكرة الأرضية البيضاوية لهم عدة مـــهمات هـــم اتخذوها كمرجع فكري دولي أو ما شابه . الفكر الدولي هذا فكر يساهم النظام السياسي في استمراريته تحت جميع الظـــروف . التطـــور التقـــني العالمي خلال القرن العشرين دفع مباشرة بدفعات سياسية عالمية في الإطار الفكري هذا ، ومهما يكن من أمر هؤلاء المفكرين الدوليين فـــإن لهـــم طريقة مميزة على الأقل أدبيا-دوليا هنا ، ولكن على المرء هنا أن يضـــع في

ENCYCLOPEDIA OF THE THIRD WORLD , GEORGE THOMAS KURIAN , LONDON, 1979 [23]

الاعتبار هنا أن هذه الظاهرة الأدبية العالمية مسيسة كمؤشر للنظام السياسي الحاكم .

الأديب الروسي العالمي سولتجن "SOLEZTNEN" كان أكثر من محظوظ دوليا ، فهو لم يكن الأول الذي عانى حياة السجون في سيبريا قارسة البرد ، وهو لم يكن الأول الذي كتب عن تجربته ، وهو لم يكن الأول الذي استمر في حياته الطبيعية في الدكتاتورية ، ولكنه كان الأول في الاتحاد السوفيتي الذي أزحم العالم إعلاميا عن بإنتاجه الفكري وهو يرزح في سجون سيبريا . درست كتبه الأدبية المسيسة في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو كان الأول في العالم الذي فتحت له الملفات السرية في الغرب سواء في جامعة ستانفورد "STANFORD" وأوربا الغربية عن تاريخ روسيا بالتحديد ، وهو كان الأول في العالم الذي قيم فكره دوليا بتسييس في نمط فلسفي من منحنى أدبي ، وهو الأول في العالم الذي هيأ أدبا سياسيا من منحنى دولي ليحوز على جائزة نوبل "NOBEL" الدولية، وهو الأول في العالم الذي أخذ بعدئذ تقييماته السياسية-الآدمية من محمل الجد .

الأدب السياسي هذا كان تسييسه جم الواقع دوليا . ومن هذه الفترة التاريخية بزغ على الكرة الأرضية شيء لازم الإنسانية في العقود الأربع من نهاية القرن العشرين أطلق عليه بالأدب السياسي . هذه الطفرة الفكرية الدولية انحصرت في قيمة الإنسان ، ولكنهم لم يحددوا ماهية هذا الإنسان . الأدب السياسي وليس بالضرورة المسيس كان انعكاسا لرؤية أتباع الأدباء من الدول العظمى والمتوسطة . الأدب السياسي هذا

كان عابرا . أسلوب المقارنة الأدبية العالمية هنا غير مجد من قريب أو بعيد ، لما افتقده الآخرون من شعوب الدول الكبرى والمتوسطة القـوة . إلا أن سياسيا من منحى دولي ، شهد ببطء بداية انبثاق نظرية "رمادية" الوضـــع الدولي هذا . من هنا فرواية سولتجن بعنـــوان "يـوم في حيـــاة ايفـــان دنستفوجف A DAY IN THE GIFE OF IVAN DENVOTSHEV" عن ســـجون سـيبريا كانت له وقعة أدبية وسياسية وطأها كانت جمة و الذي ساهم في شهرها التطور التقني العالمي الذي طرأ بالأخص في عقد السبعينيات من القـــرن العشرين .

جوهر الموضوع الأدبي السياسي الدولي هـــذا انحصــر في تـــأقلم الإنسان مع تطورات المجتمع السياسي التاريخي ، ولكن هذا الجزء يســـير من تاريخ الإنسان المعاصر ، وعليه بزغ أدب سياسي عالمي جديد مـــزج أيـــام الحروب المستعصية مع ذاك الذي أطلق عليه بالحب . المزيج هـــذا من فناء إنساني ورماديـــة الوضــــع الدولي كـــرة أخـــــرى أعيـــد تكريره حول العالم بحيث أضحى الموضوع ذاته بلا معنى ، ومن هنا فـهذا المزيج الدولي طغى على كل الأمور الإنسانية الأخرى التي تحوم حـــــول المفاهيم المتعددة للسلام . اختلاط الإنسانية هذه أدى إلى إظهار تباين بين طور إنساني وآخر. فهذا التباين الأدبي-السياسي العالمي أدى إلى أســلوب إنساني آخر حام حول منطلق وفلسفة المقارنة . وهذا الأسلوب المقـــارن سواء أكان أدبا-سياسيا أو غيره فهو قد أضاف غشاوة أدبية-سياســـية دونية ، ولكن الحب يظل حيا كما أن الموت يظل موتا ، فـــما الفـــارق بين الطرفين ؟ .

إلا أن هناك نوعا آخر مـــن الكتابات ليســـت بـــأدب وليســـت بسياسة ولكنها حضارية . وهذا النوع من الكتابات له عدة مميزات و من أهمها شمولية الفكرة الإنسانية ذاتها ، وفي هذا الإطار الحضاري ظـــهر في عقد السبعينات من القرن العشرين مفكر في أفريقيا ، وبـــالتحديد مـــن غينيا "GUINEA" الذي لم يشمل فقط القارة الأفريقية بل كافة النظريـــات السياسية الإنسانية والتي من أهمها كانت نظرية المفكر الأسباني " غاسيت" عن الإنسان بكونه منفصلا إلى طرفين من جسدي إلى عامل مســـاعد في التركيبة الخلوية الاجتماعية المتعددة والمتشابكة . رئيس غينيا الأسبق أحمد سيكوه توره "AHMED SEKOU TOURE" أبحر بقلمه في كتابة هـــذه النظريـــة بإسهاب . الجديد هنا أن "سيكوه توره" تمكن مـــن تخطـــي المصغـــرات الأدبية-السياسية حتى لستلوتجين الروسي في أسلوبه السياســـي- الأدبي . ولكن "سولتجين" انجرف مع التيارات الإعلامية الدوليـــة لأن الظـــروف الدولية-السياسية هي التي ساهمت فعليا في إشهاره . أما" أحمـــد ســـيكو توره" فقد انصب اهتمامه الفكري على القارة الأفريقية برمتها ، فيبدو أن النظريات الإنسانية المتناحرة في الدول العظمى أو المتوسطة القـــوة قـــد فضلت التعاون مع بعضها بعضا على حساب تلك من الشعوب التي أطلق عليها الكاتب الأفريقي فرانتزفانون "FANON FRANTZ" البؤساء .

خليط فكر الإنسان المندمج بالعسكرية هذه ، يوضح أن المخـــاض الأدبي السياسي سيكون مسيسا ليس فقط محليا في الخلية السياسية المصغرة بل أخذ بمنعطف دولنة الأمور الإنسانية المختلفة بتعددها . التعددية الأدبية المسيسة هنا تقبل برسالتها التاريخية أســـرع الـــبراكين الناجمـــة عـــن

الكـوارث العسكـريـة المستوردة ، ومن هذه الانطلاقة العسـكرية المستوردة فإن الناتج الأدبي المسيس يظل غير مستقر . لذا فالمرء هـنا لديه اختيار أدبي مسيس ولكن بلا نهاية . إلا أن هذا الواقـع الإنسـاني المسيس أدبيا غير مستقر فكريا ، وكذا يذكر عن نظام أو عدمه الخليـة السياسية المعنية غير المسيسة أدبيا .

الأدب السياسي العام ، وليس بالمسيس عرضة للتغير في أي لحظـة كالوضع السياسي للنظام الحاكم ، فهذا الأدب السياسي يشوبه عطـف إنساني ينتشر حول الكرة الأرضية جمعاء ، فهذا العطف الـدولي يخلـق أسطورته الخاصة به ، ولكن هذا العطف الإنساني مقيد بدولنـة النظـام السياسي السائد . في عقد الستينيات من القرن العشرين خلـق الرئيـس الأمريكي جون كيندي "JOHN KENNEDY" مؤسسة عطفية دوليـة مهمتـها الاهتمام بالمحتاجين من اليانعين في العالم . بمحيطاتهم الإنسانية . ولكـن سرعان ما تحولت هذه المؤسسة الدولية إلى جزء مهم لأجهزة المخـابرات الأمريكية "C I A." . وكذا فعل البريطانيون بخلق جهازهم الخاص أطلق عليه بأوكسفام ، وتبعهم الفرنسيون بإنشاء مؤسسة عطفية دولية أطلق عليـها بدون حدود " MEDECINE SANS FRONHTIERE " . هـذه المؤسسات المفـروض بها أن تكون دوليا خيرية للتعبير عـن عطف الإنسان بحكـم أعمالهـا الخيرية-العطفية أكثر تغلغلا بالأماكن الشعبية التي ليس بإمكان أجـهزة الدول الرسمية لهذه الدول المعنية اختراقها ، وكل الذي اكتشـفته هـذه الأجهزة العطفية-الدولية هو البؤس الإنساني وتوابعه .

وانهارت على العالم أدبيات مختلفة ومتنوعة عـــن هـــذه المآســـي الإنسانية في عالم يزدحم بحضارته ، ولكن الفقر يظل فقرا وكذا يذكـــر عن الجوع والقتل المتعمد..الخ . ولكن لم يتساءل أحد من اتبـــاع هـــذه الأجهزة الدولية عـــن مسببات اندلاع الثـــورات الشـــعبية في العـــالم البيضاوي هذا . لعل كارلوس في محاكمته العسكرية في باريس ســـيضيف إنسانيا على هذه المآسي الإنسانية ، وفي الآن ذاته فكـــارلوس وغـــيره ليسوا بحاجة ماسة إلى الإبحار فكريا وعمليا هذه المناطق لبرهان رأيه عمليا لأن هذه المآسي موجودة في جميع عواصم الدول هذه مـــن واشـــنطن " WASHINGTON D C" إلى لندن " LONDON" وإلى باريس " PARIS " .

ولكن كل هذه الأمور الإنسانية بمآسيها في طرف واقـــع حـــال الإنسان المأساوي بطرف آخر ، فهذا الواقع الإنساني المأساوي يوحـــي للمراقب بأن هناك تعادلا إنسانيا يساوي بين كافـــة شـــعوب الكـــرة البيضاوية هذه .

من طبيعة الحروب أنها تخلق في الإنسان الرحمة . وهـــذه الرحمـــة الإنسانية لا حدود لهـــا ، وبغير التطور الملحوظ في الأدبيات السياســـية التي نجمت عن هذه الحروب فالإنسان يظل إنسانا في كافـــة الظـــروف العاتية . ومن طبيعة هذه الحروب كرة أخرى أن تخلق نوعا محددا عـــن المزيج من الحب والعطف والحنان الدولي في مضي ووجود الإنسان علـــى الكرة الأرضية البيضاوية هذه . من هذه الانطلاقة الإنسانية فالإنسان يظل ذاك الحيوان البشري الذي يطنب بلمحاته البشـــرية . في أكـــثر مـــن عشـــرة آلاف إنسانـــا ينحـــرون أحيـــاء في روانـــدا "RAWANDA" ،

ولكن هناك مؤسسة أهلية في الدول العظمى والمتوسطة القوة يطلق عليها بالاهتمام "CARE" مهمتها الأساسية بث روح الأمل والحب لدى البشرية . ولكن لا جديد هنا يحدث .

بعد كل هذه المآسي يخرج البعض بذاك الشيء الذي أطلقوا عليه بحقوق الإنسان (HUMAN RIGHTS) ، ولكن لم يحدد هنا حقوق من هي؟ أهي حقوق بائع السلاح أم مشتريه ؟ أهو الذي يستعمل السلاح للحصول على حقوقه أم من ؟ أهو القاتل أم المقتول؟ أهو الذي يمارس حقوقه باللسان أم ذاك الذي علمه أن يتحدث؟ أهو الذي يخطو الهوينا ببطء أم ذاك الذي يفرض عليه السعي لاهثا وراء سراب مستقبله؟ أهو الذي يمضي درجات حياته الدنيوية ممارسا أحلام اليقظة المتعددة أم ذاك الذي يدفعه لكي يحلم مستيقظا ؟ أهو ذاك الذي يستعمل الهراوة لبتر جسد الإنسان أم هو الذي يستخدم القنبلة النووية وغيرها من الأسلحة الفتاكة ، أم هو الأديب المسيس أم ذاك الذي يطبع أدبياته . الكون الشعبي يخطو حثيثا وراء السراب السياسي العالمي للحصول على حقوقه الإنسانية للتخلص من الدكتاتورية العالمية . وفي هذا المجال الإنساني الكوني تظل هناك فلسفة رمادية السياسة الدولية بلا حاصل تحصيل ديموقراطي .

الخاتمة

الدولنة بمفاهيمها السياسية – الشعبية النظرية والعملية، لها شروطها وقوانينها غير المدونة و هذه الدولنة توحي للمراقب بأن هناك محاولة إنسانية حقيقية بأن هناك حضارات إنسانية تمتاز بالديمومة، وهذه الاستمرارية الإنسانية في مسيرتها لها كذلك شروطها الإنسانية، ومن أهم هذه الشروط في كلا الحالتين تنصب في أنهار الثبات و الوجود الإنساني من منحنى سياسي ، والدولنة في الآن ذاته تفرض ذاتها من منطلق التسييس .

التسييس العالمي هذا حجم دور القوة العالمية في بقاء ورسوخ نفوذها دوليا . مرجع تقليص هذا النفوذ السياسي الدولي له منحنيان ، الأول ينحصر في أحادية سياسة القوة الدولية ، أما الثاني فينحصر في استمرارية الدكتاتورية في العالم السياسي الدولي، فالجانبان مرتبطان . فالطرف الأول له صلة وثيقة بأن المعضلات الدولية المتراكمة على بعضها البعض تؤدي إلى تيه في اتخاذ القرارات الاستراتيجية الدولية من منطلق حلها أو حتى محاولة حلها أما الطرف الثاني فلا يجدي على الإطلاق الحديث بشتى الطرق والأساليب بألفاظ سياسية عديمة الفعل السياسي الدولي ، ومن نتوءات إيجاد أو محاولة إيجاد حلول استراتيجية دولية لها نفوذها الخاص لتكون لها فعالية من منحنى فلسفة الدولنة .

ومهما يكن الأمر هنا ، فالتسييس الدولي هذا له تطلع تاريخي ببوادره بأن مسيرته على مشارف التغيير الشعبي ، ومن هنا فالحضارات لا

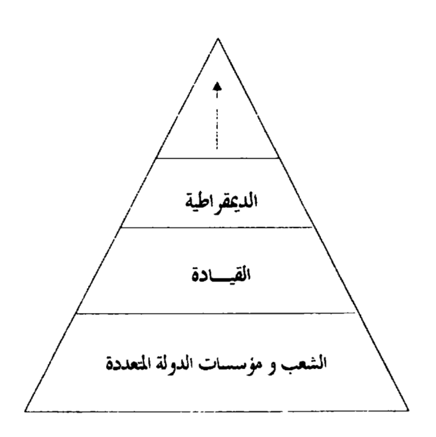
تؤسس على الأحلام الإنسانية . فجوهر انطلاقة بشائر هذه الحضـــارات من جديد هي الثورة الإنسانية ، والثورة الإنسانية هـــذه لهـــا تطلعـــات مستقبلية بؤرها في الإنسان ومما لاشك فيه أن هذه المرتقبة ستكون شاقة. ولابد من الوضع في الاعتبار هنا أن الثورة بأتباعها لديها نفس طويـــل في ترسيخ اعتقاد ذاتها مما يؤدي بالمدافعين عن نظرية أحادية القوة في السياسة الدولية الاستراتيجية إلى مآزق فكرية وعملية .

إلا أن القاعدة الشعبية العريضة للعالم السياسي المنقســـم هـــذا في حوزته ميزتان حضاريتان معاصرتان . الأولى تكمـــن في واقـــع الحـــال الإنساني خلال قرن من التاريخ فإن التعليم وبالأخص المسيس فيـــه قـــد تدرج إلى ذروته العلمية ومن جهة أخرى على المرء أن يضع في الاعتبـــار هنا أن هذه الدول الخارجة من أحادية القوة العظمى والمتوســـطة القـــوة لديها ينابيع من المصادر الطبيعية التي تدر سيولة عالية لا حـــدود لهـــا . وعليه فليس من مصلحة القوى الأخرى في العالم السياســـي أن تتضـــح الأمور الإنسانية المتعددة الأطر ، وخير دليـــل علـــى عـــدم الاســـتقرار الاستراتيجي هو بقاء رمادية الوضع الاستراتيجي لأمد و فتـــرة تاريخيـــة غـــير محددين .

الملاحـــق

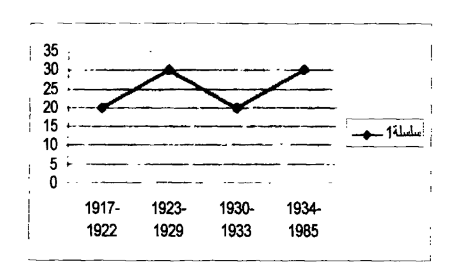
الهرم الأفلاطوني

شكل (1)



ميزان القوى الدولي في ظل الرأسمالية و الشيوعية

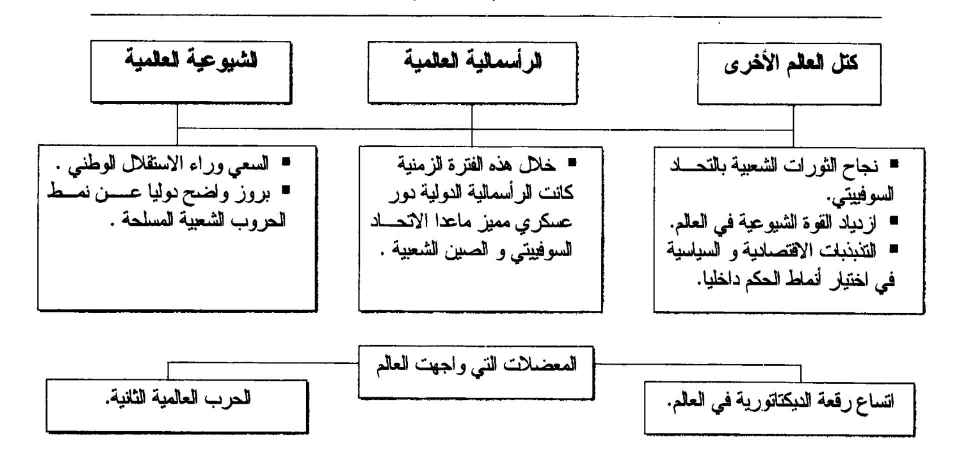
شكل (2-أ)



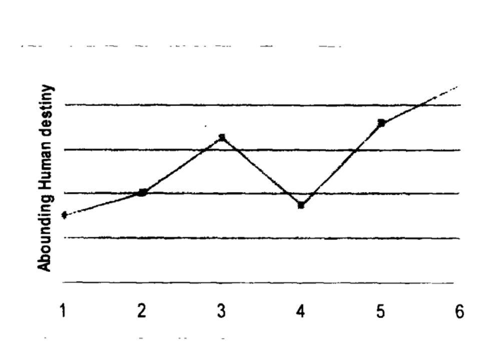
هذا الرسم جزء من الشكل التالي ، حيث يوضح المراحل الزمنية من التاريخ الإنساني وما شمل عليه الوضع الدولي حتى عام نهاية 1985 وذلك في ظل تبوء الرأسمالية و الشيوعية السلطة بالعالم .

تعامل الرأسمالية و الشيوعية حتى عام 1985

شكل (2 – ب)



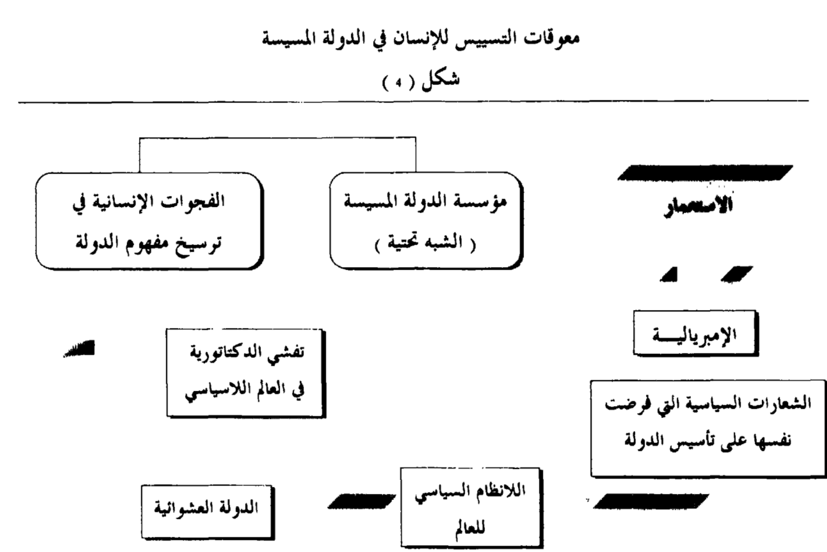
ABOUNDING HUMAN DESTINY
DIAGRAM (3)



1- COLONALISM (ECONOMIC & MILITARISM)
2- COMMUNISM (THEORY & PRACTICE)
3- IMPERIALISM (MILTARISM)
4- NEW COLONALISM (ESPECIALLY ECONOMICS)
5- THIRD WORLD (THE WRETCHED OF THE EARTH)
6- WORLD MASSES (COMMON HUMAN GOALS)

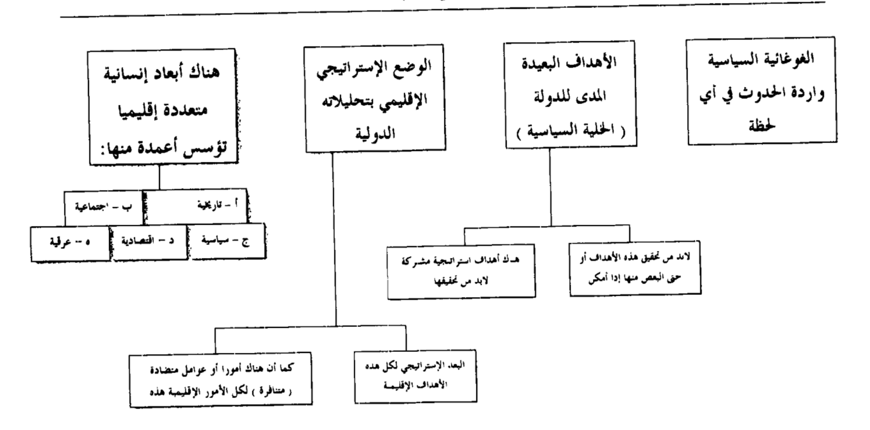
معوقات التسييس للإنسان في الدولة المسيسة

شكل (٤)

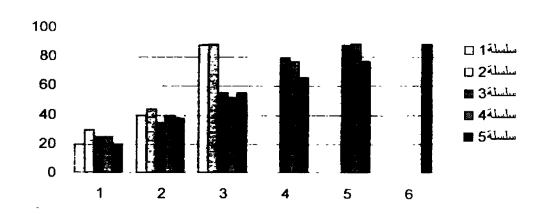


التلاحم الداخلي لأي نظام سياسي و الأبعاد الإقليمية هنا

شكل (5)

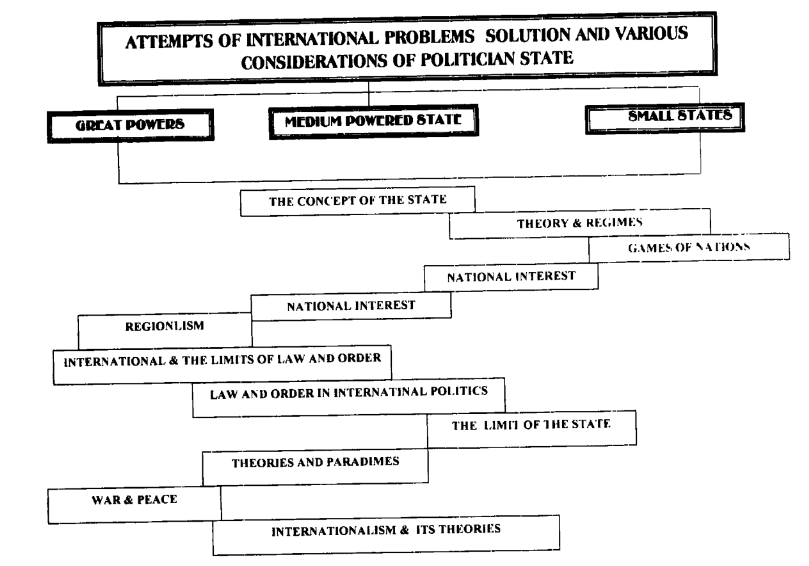


شكل (6)



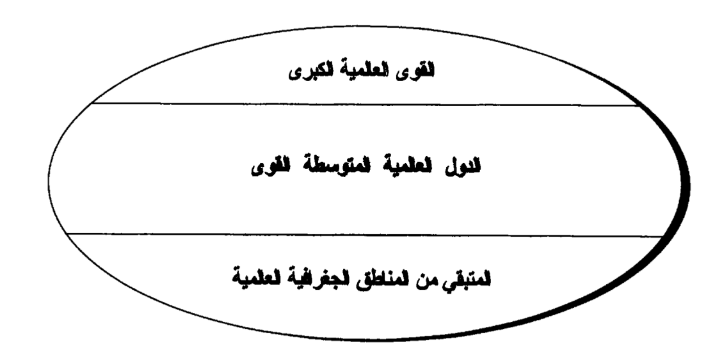
يوضح هذا الرسم عدة اعتبارات متشابكة في الدولة ، حيث توضح سلسلة 1 الاعتبارات السياسية في الدولة الإقليمية ، حيث أنها عرضة للتغيير في أي لحظة تاريخية كانت ، ولكن هناك تمييزا محددا لأهدافها البعيدة و القريبة المدى . ونرى في سلسلة 2 الأوضاع التاريخية للدولة الإقليمية . وسلسلة 3 توضح عامل التحالفات الإقليمية للدولة المعنية تتماشى مع الأوضاع الاقتصادية و السياسية كافة التي تفرضها الظروف العامة . بالإضافة إلى سلسلة 4 التي توضح الوضع العسكري الذي تؤول إليه الدولة الإقليمية المعنية . ونجد أن المحن العسكرية قد تؤدي في لحظات تاريخية عابرة إلى خلق شعور بمسح الدولة ، و ليس بفنائها . وسلسلة 5 توضح الأوضاع غير المستقرة و محاولات حل معضلاتها للدولة الإقليمية ، حيث تتعرض الدولة إلى عدة ظروف معقدة ، قد تتخذ الدولة المعنية الدبلوماسية سبيلا لحل معضلاتها ، في حين تفتقد الدبلوماسية الخبرة و التمرس .

DIAGRAM (7)


ATTEMPTS OF INTERNATIONAL PROBLEMS SOLUTION AND VARIOUS CONSIDERATIONS OF POLITICIAN STATE
GREAT POWERS
MEDIUM POWERED STATE
SMALL STATES
THE CONCEPT OF THE STATE
THEORY & REGIMES
GAMES OF NATIONS
NATIONAL INTEREST
NATIONAL INTEREST
REGIONLISM
INTERNATIONAL & THE LIMITS OF LAW AND ORDER
LAW AND ORDER IN INTERNATINAL POLITICS
THE LIMIT OF THE STATE
THEORIES AND PARADIMES
WAR & PEACE
INTERNATIONALISM & ITS THEORIES

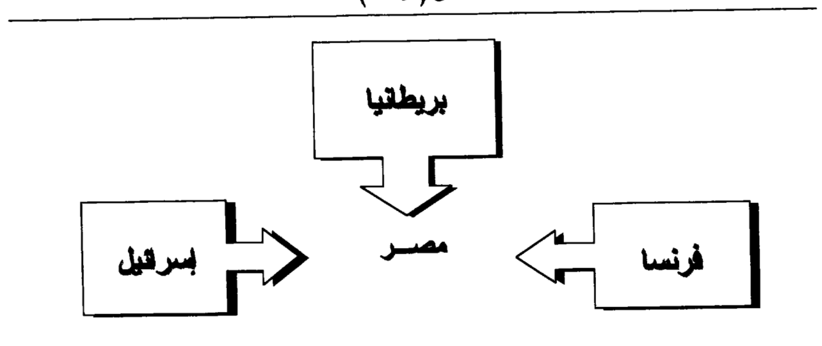
الكرة الأرضية بتقسيماتها الإستراتيجية

شكل (8)



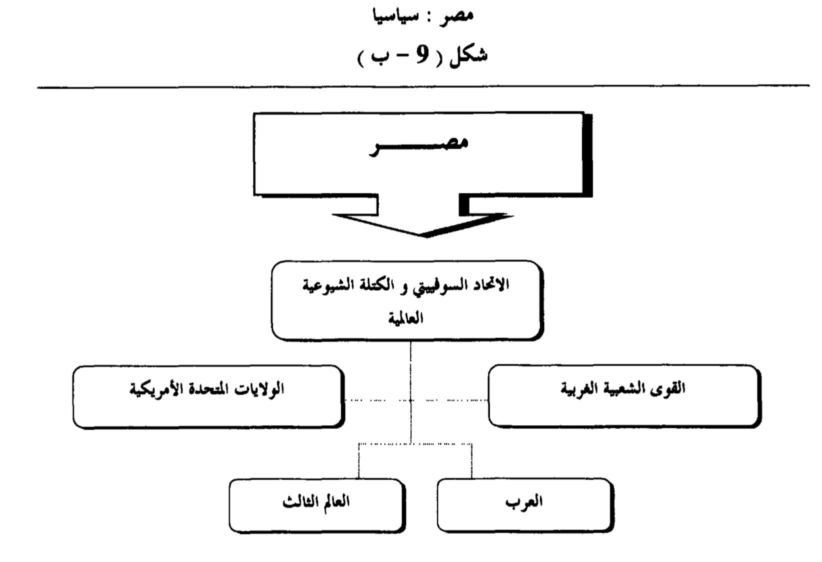
عسكريا : العدوان الثلاثي على مصر

شكل (9 - أ)



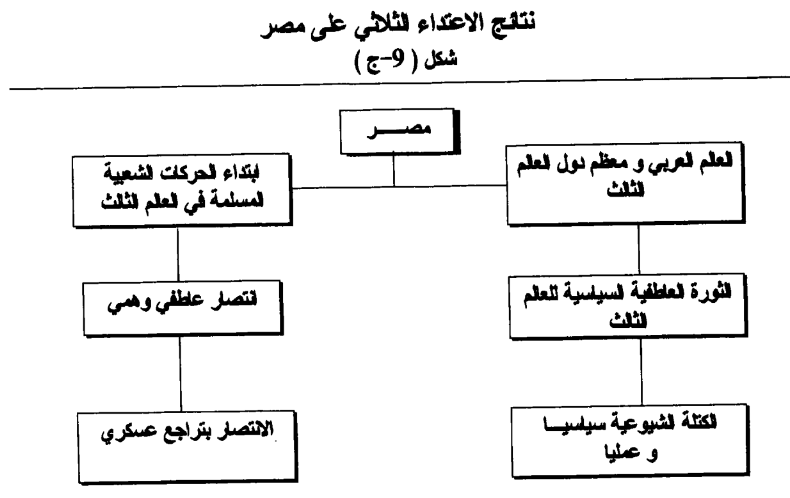
مصر : سياسيا

شكل (9 – ب)



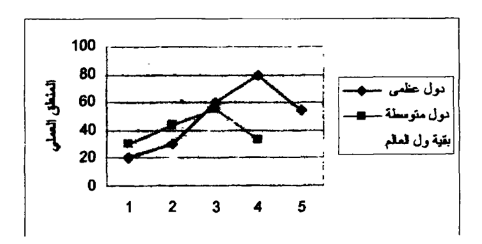
نتائج الاعتداء الثلاثي على مصر

شكل (9-ج)



دولنة نظرية " لعبة الأمم "

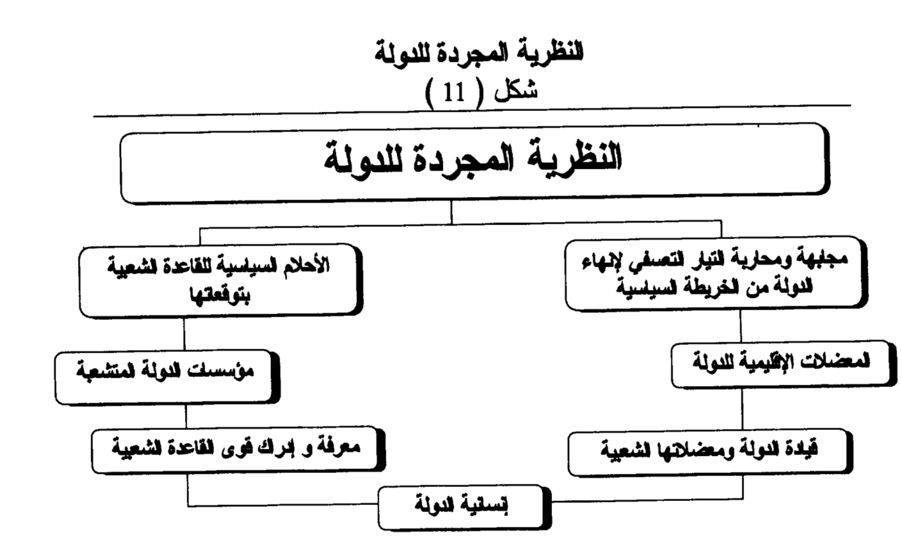
شكل (10)



في الرسم البياني السابق هناك ثلاث تقسيمات للدول بالعالم ، توضح المحاولات المتعددة لدوامات الخيارات الدولية لدولنة الإنسان المسيس من منطلق دولي . حيث نجد الدول العظمى تقوم بعدة محاولات إنسانية لعدم التراجع ، في حين تقوم الدول المتوسطة بشبه تراجع دولي من المنطلق العملي . في حين تقوم بقية دول العالم في مواكبة التقدم و التطور الإنساني من الناحية النظرية و العملية ، فنجدها تقوم بمراجعة و تقييم لمحاولات التقدم النظوي و العملي ، إلا أن تطلعاتها بطيئة جدا .

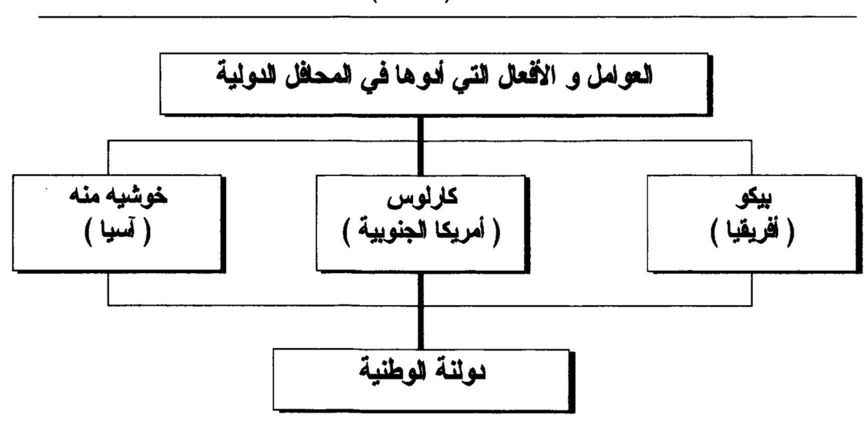
النظرية المجردة للدولة

شكل (11)



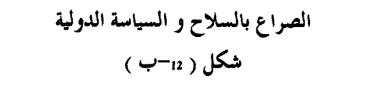
العوامل و الأفعال التي أدوها في المحافل الدولية

شكل (12- أ)



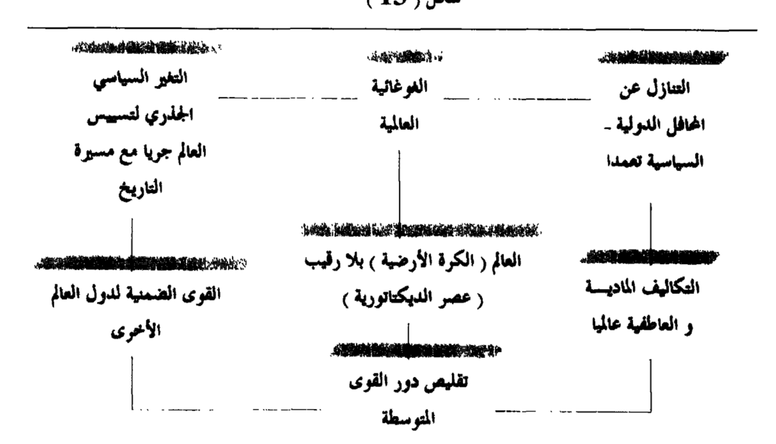
الصراع بالسلاح و السياسة الدولية

شكل (12–ب)



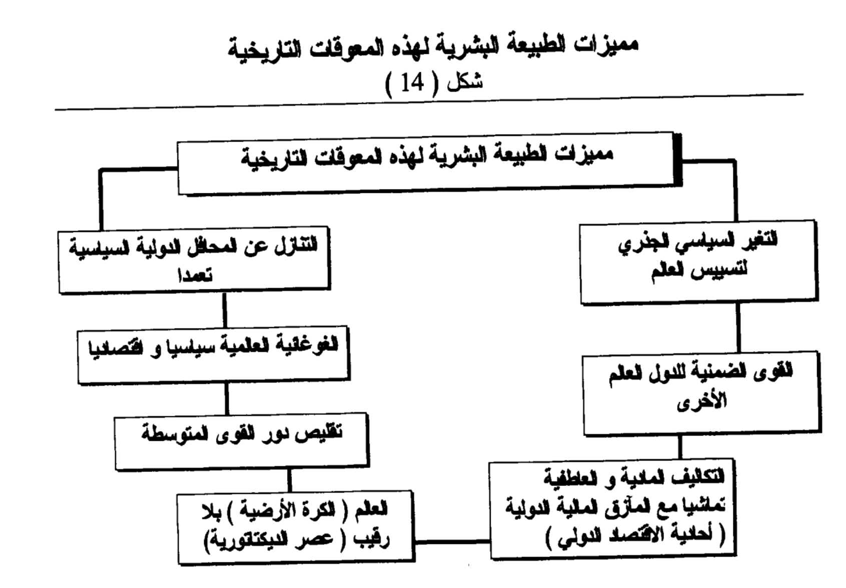
أحادية الدول العظمى

شكل (13)



مميزات الطبيعة البشرية لهذه المعوقات التاريخية

شكل (14)



سيرة دائرة التاريخ الإنساني و انشقاقه عن ذاته

شكل (15)

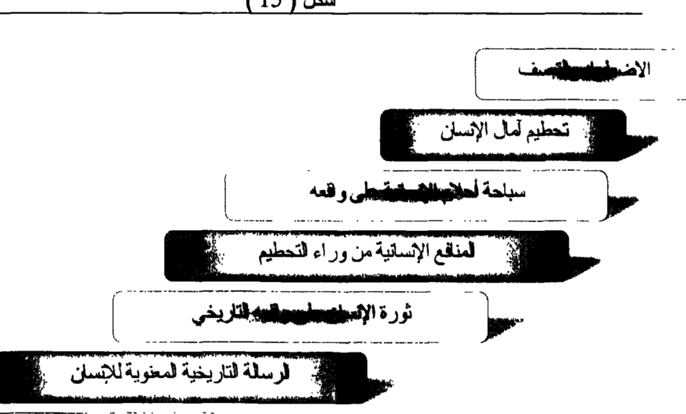


Diagram (16)

Concentration of Child Labour in Different Sectors in 1971 - 1981

SL. No.	Sectors of Activities	1971			1981		
		Total	Male	Female	Total	Male	Female
1	Cultivators	1.04	1.02	1.11	1.58	2.16	nil
2	A agricultural Labourers	11.01	2.18	18.89	8.46	9.81	4.88
3	Livestock Forestry, Fisheries , Hunting & Plantation Works	0.85	0.90	0.56	0.69	9.92	nil
4	Mining & Quarrying	nil	nil	nil	nil	nil	nil
5	Manufacturing Processing Servicing & Repairing						
(a)	Household Works	1.80	1.40	2.78	0.27	0.37	nil
(b)	Other than Household works	7.49	8.71	0.65	6.30	8.18	1.22
6	Construction Works	0.38	0.22	1.11	0.92	0.45	2.24
7	Trade & Commerce	19.08	21.06	8.88	16.21	21.78	1.01
8	Transport Storage & Communication Works	4.93	3.45	11.11	1.90	2.60	Nil
9	Other Services	53.42	53.06	55.00	63.76	53.83	90.65
Total		100	100	100	100	100	100

Source : CHILD LABOUR IN INDIA ,S.K TRIPATHY , NEW DELHI , 1989.

المحتويـــــات

1
13

